الإلْمَامُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ والإِنْتَرْنِتِ مِنْ أَحْكَامٍ

"مُدَوَّنةُ سُلوكٍ"



ثابت ذيب

٢٠٢٥

الإِلْمَامُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ وَالإِنْتَرْنِتِ مِنْ أَحْكَامٍ

"مُدَوَّنةُ سُلوكٍ"

ثابت ذيب

٢٠٢٥

تَقديمٌ

بقَلَمِ المُهَندِسِ عُمَرُ زَيْدٍ الكَيْلانِيّ

أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ، وَأُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، نَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ،
آمَنَّا بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، نَحْمَدُكَ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ
وَكَفَى بِهَا نِعْمَةً، وَنَشْكُرُكَ عَلَى تَمَامِهَا، أَوْضَحْتَ لَنَا الطَّرِيقَ، وَهَدَيْتَنَا السَّبِيلَ.

وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ تَمَامِ النِّعْمَةِ، وَخِتَامِ الدِّينِ، قَالَ فِيمَا قَالَ:
إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَقَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا،
وَلَكِنْ رَضِيَ مَا تُحَقِّرُونَ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْإِنْتَرْنِتُ وَوَسَائِلُ الِاتِّصَالِ قَدْ فَتَحَتْ مَسَاحَاتٍ كَبِيرَةً لِتَوَاصُلِ النَّاسِ
وَلِوُصُولِهِمْ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ، وَبِطَرِيقَةٍ فَرْدِيَّةٍ، كَانَ لَابُدَّ مِنْ مُدَوَّنَةِ سُلُوكٍ لِلْمُسْلِمِ
تُوَضِّحُ لَهُ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ، وَحُدُودَ اللَّهِ فِيهَا حَتَّى لَا يَزِلَّ وَلَا يَضِلَّ.

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ السَّاحَةُ فِي مُتَنَاوَلِ الْجَمِيعِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا، ذَكَرًا وَأُنْثَى،
وَكَانَ فِيهَا الْغُثُّ وَالسَّمِينُ، وَالضَّارُّ وَالنَّافِعُ، وَالْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ،
وَفِيهَا مُغْرِيَاتٌ عَزَّ وُصُولُهَا فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى الْأَغْلَبِ،
وَفُرْجَةٌ خَفِيَّةٌ يَدْخُلُ مِنْهَا الْمَرْءُ وَيَخْرُجُ،
وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يُوحِي إِلَى أَوْلِيَائِهِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا،
وَأَنَّهُ يُزَيِّنُ الشَّهْوَةَ بِاسْمِ الْفَنِّ، وَالضَّلَالَ بِاسْمِ الرَّأْيِ،
لِكُلِّ ذَلِكَ كَانَ لَابُدَّ مِنْ مُدَوَّنَةِ سُلُوكٍ تُعِينُ الْمُسْلِمَ وَتُرْشِدُهُ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْمَسَاحَاتِ.

وَهَذَا كِتَابٌ سَهْلٌ مُمْتَنِعٌ، وَاضِحٌ مُبَاشِرٌ لِمَنْ أَرَادَ الرَّشَادَ، وَسَعَى لِرِضَى رَبِّ الْعِبَادِ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: قواعدٌ عامّةٌ

أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ فِي زَمَنِ الفِتَنِ

تَأَمَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ الْقُدْسِيَّ الْمَرْوِيَّ فِي **سُنَنِ الدَّارِمِيِّ**:
"أَبُثُّ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ".

كَلِمَةُ "**أَبُثّ**" عَجِيبَةٌ فِي بَلَاغَتِهَا.
لَمْ يَقُلْ: "**أَنْشُرِ الْعِلْمَ**"، أَوْ "**أُبَلِّغ الْعِلْمَ.**"
بَلْ قَالَ: "**أَبُثّ**"، أَي أُذِيعُهُ وَأُفَرِّقُهُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْجَمِيعِ.

وَكَأَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ يَصِفُ بِدِقَّةٍ عَصْرَنَا الْحَاضِرَ.
عَصْرَ الْبَثِّ التِّلْفِزْيُونِيِّ، وَالْبَثِّ الإِذَاعِيِّ، وَالْبَثِّ عَبْرَ شَبَكَةِ الإِنْتَرْنِت.
حَيْثُ تُبَثُّ الْمَعْرِفَةُ فِي كُلِّ بَيْتٍ،
وَتَصِلُ الْمَعْلُومَةُ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ مَهْمَا كَانَ دِينُهُ أَوْ لُغَتُهُ أَوْ مَكَانُهُ.

وَهَذَا يُحَقِّقُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى:
﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال: ٤٢.

فَقَدِ ارْتَفَعَتِ الحُجَّةُ، وَوَصَلَ الْبَيَانُ، وَأَصْبَحَتِ الْبَيِّنَةُ حَاضِرَةً أَمَامَ كُلِّ إِنْسَانٍ.
فَمَنْ أَعْرَضَ، فَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ عِلْمٍ.
وَمَنْ اهْتَدَى، فَقَدِ اهْتَدَى عَنْ يَقِينٍ.

إِنَّهَا رِسَالَةٌ وَاضِحَةٌ:

- أَنْ تَكُونَ الْبَيِّنَةُ مُنْتَشِرَةً لَا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ النَّاسِ سَيُؤْمِنُونَ، وَلَكِنْ يَعْنِي أَنَّ عُذْرَ الْجَهْلِ لَن يَبْقَى.
- وَأَنَّ الْبَثَّ الإِلَهِيَّ لِلْعِلْمِ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْعَالَمِيْنِ.
  يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا، وَيُقِيمُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَى آخَرِينَ.

فَمَا أَحْوَجَنَا الْيَوْمَ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ.
الَّذِينَ يَسْتَثْمِرُونَ هَذَا "**الْبَثَّ**" فِي طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، لَا فِي اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ.
لِنَحْيَا عَنْ بَيِّنَةٍ، وَنَلْقَى اللهَ وَقَدْ عَرَفْنَا الْحَقَّ وَسَلَكْنَا سَبِيلَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ: قَلِيلٌ فُقَهَائِهِ، كَثِيرٌ خُطَبَائِهِ، قَلِيلٌ مَعْطُوهُ، كَثِيرٌ سَائِلُوهُ؛ الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ**" (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ).

إِنَّه وَصْفٌ بَلِيغٌ لِزَمَنٍ تَخْتَلُّ فِيهِ الْمَوَازِينُ.
يَقِلُّ فِيهِ الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ يُرْشِدُونَ الْأُمَّةَ إِلَى الْحَقِّ.
ويَكْثُرُ فِيهِ الْخُطَبَاءُ الَّذِينَ يُجِيدُونَ فَنَّ الْقَوْلِ دُونَ أَنْ يَحْمِلُوا عِلْمًا رَاسِخًا يُهْدِي النَّاسَ فِي ظُلُمَاتِ الْفِتَنِ.

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يُصْبِحُ الْعِلْمُ أَثْمَنَ مِنَ الْعَمَلِ.
لِأَنَّ الْعَمَلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَدْ يُجُرُّ صَاحِبَهُ إِلَى الضَّيَاعِ.
بَيْنَمَا الْعِلْمُ الصَّحِيحُ يَحْفَظُ الْقُلُوبَ مِنَ الانْحِرَافِ وَيُضِيءُ الطَّرِيقَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"**سَيَهْلِكُ فِيهَا أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْرِفُهَا قَبْلَ ذَلِكَ**".
أَيِ إِلَّا مَنْ بَصَّرَهُ اللهُ بِحَقَائِقِ الْفِتَنِ قَبْلَ وُقُوعِهَا.
فَوَعَى كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَ تَحْذِيرَاتِهِ مَأْخَذَ الْجِدِّ.
فَلَمْ يَنْجَرِفْ مَعَ التَّيَّارِ وَلَمْ يَحِدْ عَنِ الطَّرِيقِ.

مِنْ هُنَا نَفْهَمُ أَنَّ طَرِيقَ النَّجَاةِ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ هُوَ الْعِلْمُ.
عِلْمٌ يَحْفَظُ الْعَقِيدَةَ. عِلْمٌ يُضَبِّطُ الْعَمَلَ. عِلْمٌ يُبَصِّرُ الْمُسْلِمَ بِالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ.

لِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ:
"**الْجَاهِلُ قَدْ يَعْمَلُ، لَكِنَّ عَمَلَهُ بِلَا هُدًى.أَمَّا الْعَالِمُ فَعَمَلُهُ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ**".

تَحْذِيرٌ مِنْ مَحَبَّةِ الْفَاحِشَةِ وَنَشْرِهَا وَعَوَاقِبِهَا

يقول الله تعالى:

" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " *النّور: ١٩*

فهُناكَ أَشخاصٌ يَتمنَّوْنَ أَو يُحِبُّونَ:
أَنْ تَنتَشِرَ الأَخْبارُ السَّيّئَةُ، وَالفَضائِحُ، وَالكَلامُ القَبيحُ عَنِ المؤْمِنِينَ،
خُصوصًا ما يَتَعَلَّقُ بِالأعْراضِ وَالاتّهاماتِ الباطِلَةِ مِثلَ القَذْفِ بِالزّنا وَنَحْوِهِ.
وَالآيةُ تُحذّرُ مِن مُجرَّدِ مَحبَّةِ انتشارِ الفاحِشَةِ بَيْنَ المُؤمنينَ.
مُجرَّدُ أنْ يُحِبَّ الإنْسانُ رُؤْيَةَ الفَضائِحِ أو سَماعَها ذَنْبٌ عَظيمٌ.
لأَنَّهُ دَليلٌ على فَسادِ القَلْبِ وخُبثِ النِّيَّةِ.

فإِذَا كانَ هذا التَّحذيرُ لِمَن يُحِبُّ فقط،
فكَيْفَ بِمَن يُنْشِرُها بِنَفْسِهِ ويُساهِمُ في وُصولِها لِلنّاسِ؟

النَّاشِرُ لِلْفاحِشَةِ يَحمِلُ وِزْرَهُ وَوِزْرَ مَن بَلَغَتْهُ وتَأَثَّرَ بِها.
ويَكونُ شَريكًا في الإفسادِ وتَدميرِ الأخلاقِ وزَرْعِ الفِتَنِ.

مَحبَّةُ الفاحِشَةِ ذَنْبٌ قَلبيّ،
ونَشْرُها ذَنْبٌ قَلبيّ وفعليّ وإعلاميّ أعظمُ وأشدّ.

لِذلِكَ تَوَعَّدَ اللهُ مَن يُساهِمُ في نَشْرِ الفاحِشَةِ
بِالعَذابِ الأليمِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

الأَثَرُ السَّلْبِيُّ لِإِشَاعَةِ الفَاحِشَةِ

إِنَّ إِشَاعَةَ الفَاحِشَةِ عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَغَيْرِهَا تُؤَدِّي إِلَى
تَآكُلِ الثِّقَةِ بَيْنَ النَّاسِ
وَتَفَكُّكِ الرَّوَابِطِ الاجْتِمَاعِيَّةِ
كَمَا تَسْهُمُ هذِهِ الإِشَاعَاتُ فِي تَشْوِيهِ السُّمْعَةِ
وَنَشْرِ القُدْوَةِ السَّيِّئَةِ،
وَالَّتِي تَدْفَعُ الآخَرِينَ إِلَى تَقْلِيدِ السُّلُوكِ المنْحَرِفِ

فَتَدَاوُلُ الفَضَائِحِ وَالأَخْبَارِ الكَاذِبَةِ
يَجْعَلُ القِيَمَ الأَخْلَاقِيَّةَ أَقَلَّ هَيْبَةً فِي النُّفُوسِ
وَيُحَوِّلُ المعَاصِي إِلَى أَمْرٍ مَأْلُوفٍ
وَيَقِلُّ اسْتِنْكَارُهُ مَعَ مُرُورِ الوَقْتِ،
مِمَّا يُمَهِّدُ لِانْتِشَارِ الفَسَادِ فِي المجْتَمَعِ
نَشْرُ هذِهِ الأَخْبَارِ
يَضُرُّ الأَبْرِيَاءَ
وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الفِتْنَةِ
وَيُقَلِّلُ مِنْ تَأْثِيرِ المصْلِحِينَ،
لِأَنَّ سُمْعَتَهُمْ تَتَضَرَّرُ وَسْطَ الضَّجِيجِ الأَخْلَاقِيِّ الَّذِي تَخْلُقُهُ الشَّائِعَاتُ وَالفَضَائِحُ
فَسَتْرُ اللَّهِ لِذُنُوبِ النَّاسِ يَحْفَظُ مَكَانَتَهُمْ، وَيَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ يَسْتَفِيدُ مِنْ خَيْرِهِمْ
رَغْمَ عُيُوبِهِمُ الْخَفِيَّةِ.

وَمَعَ شُيُوعِ هذِهِ الظَّاهِرَةِ،
يَفْقِدُ النَّاسُ الثِّقَةَ فِي بَعْضِهِمِ،
وَيُصْبِحُ الكِذْبُ وَالتَّشْهِيرُ وَسِيلَةً لِلتَّسَلِّي أَوِ الانْتِقَامِ،
فَتَتَلَاشَى القِيَمُ وَتَنْهَارُ الضَّوَابِطُ الَّتِي تَحْفَظُ المجْتَمَعَ مِنَ الانْحِرَافِ.

التَّحْذِيرُ مِنْ تَتَبُّعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

يقول تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" *النور: ٢١*

أَيْ احْذَرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَسْلُكُوا الْمَسَالِكَ الَّتِي يُغْرِيكُمْ بِسُلُوكِهَا الشَّيْطَانُ،
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ وَظِيفَتُهُ الإِغْرَاءُ بِالشَّرِّ لا بِالْخَيْرِ،
وَالْأَمْرُ بِالْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ بِالْفَضَائِلِ وَالْمَعْرُوفِ.

فِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيّ، هَذَا التَّحْذِيرُ يُطَبَّقُ عَلَى:
- تَتَبُّعِ الْحِسَابَاتِ أَوِ الصَّفَحَاتِ الْمُشَجِّعَةِ عَلَى الْفَسَادِ، أَوِ الَّتِي تُنَشِّرُ فَضَائِحَ الْآخَرِينَ
- الِانْجِرَافِ وَرَاءَ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ وَالشَّائِعَاتِ دُونَ تَحَرِّي الصِّدْقِ أَوِ التَّحَقُّقِ
- الْمُتَابَعَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِلْمُحْتَوَى الَّذِي يُغَذِّي الْغَرَائِزَ السَّلْبِيَّةَ، كَالْغِيبَةِ أَوِ الْكَرَاهِيَةِ أَوِ التَّنَمُّرِ الرَّقْمِيِّ

إِذًا، "التَّتَبُّعُ" هُنَا يَعْنِي الِانْغِمَاسَ أَوِ الِانْجِرَافَ وَرَاءَ سُلُوكِيَّاتٍ وَمُحْتَوَيَاتٍ تُضِلُّ الْإِنْسَانَ
وَتَبْعِدُهُ عَنِ الْفَضَائِلِ،
وَهُوَ بِمَثَابَةِ السَّيْرِ عَلَى خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.

حَتَّى لَوْ لَمْ يَحْتَوِ الْمُحْتَوَى عَلَى صُوَرٍ أَوْ كَلِمَاتٍ صَرِيحَةٍ سَيِّئَةٍ،
فَقَدْ يَحْمِلُ رِسَالَاتٍ أَوْ مَفَاهِيمَ ضِمْنِيَّةً تُؤَثِّرُ عَلَى الْفِكْرِ وَالْمُعْتَقَدِ وَالسُّلُوكِ.
فَالْمُتَابَعَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِمِثْلِ هَذَا الْمُحْتَوَى تَجْعَلُ الْعَقْلَ يَتَأَثَّرُ تَدْرِيجِيًّا بِالْأَفْكَارِ غَيْرِ السَّلِيمَةِ،
وَتُصْبِحُ الْمُمَارَسَاتُ السُّلُوكِيَّةُ مُهَيَّأَةً لِتَقَبُّلِ الْأَخْطَاءِ وَالْقِيَمِ الْمُنْحَرِفَةِ.

خُطْوَةٌ صَغِيرَةٌ نَحْوَ الشَّرِّ

وفي ضوءِ قولِه تَعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ النور: ٢١
فَإِنَّ "خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ" تَشْمَلُ كُلَّ مَا يُغْرِي بِالِانْحِرَافِ،
حَتَّى لَوْ لَمْ يَظْهَرْ فِي شَكْلٍ مُبَاشِرٍ، كَالْصُّوَرِ أَوِ الْكَلِمَاتِ،
لِأَنَّ التَّأْثِيرَ النَّفْسِيَّ وَالْفِكْرِيَّ هُوَ أَسَاسُ الْانْحِرَافِ لَاحِقًا.

تَتَبُّعُ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ يَعْنِي فَتْحَ الْبَابِ أَمَامَ الْإِغْرَاءاتِ وَالْمَعَاصِي،
فَخُطْوَةٌ صَغِيرَةٌ قَدْ تُقودُ إِلَى أَفْعَالٍ أَعْظَمَ،
قَدْ تَنْتَهِي بِتَغْيِيرِ السُّلُوكِ، أَوِ الانْغِمَاسِ فِي الْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْانْحِرَافِ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ،
وَأَحْيَانًا إِلَى عَوَاقِبَ أَشَدَّ كَالْإِصَابَةِ بِالضَّرَرِ النَّفْسِيّ أَوِ الْجَسَدِيّ،
أَوْ حَتَّى الْقَتْلِ أَوْ فَقْدَ الْحُقُوقِ.

الأَصْلُ هُوَ عَدَمُ الِاتّبَاعِ وَتَرْكُ هَذَا الْبَابِ مُغْلَقًا،
أَيْ مُقَاوَمَةُ الْإِغْرَاءِ مُنْذُ بِدَايَتِهِ، وَالْتَحَلِّي بِالْوَعْيِ وَالرّقَابَةِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى الْفِكْرِ وَالسُّلُوكِ.
فَاتِّبَاعُ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ يَبْدَأُ صَغِيرًا لَكِنَّهُ قَدْ يَتَّسِعُ سَرِيعًا،
بَيْنَمَا الإِبْقَاءُ عَلَى الْبَابِ مُغْلَقًا يَحْفَظُ النَّفْسَ وَالْمُجْتَمَعَ مِنَ الْانْحِرَافِ وَالْفَسَادِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: "**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**". الإسراء: ٥٣

وَالْمَعْنَى: قُلْ – أَيُّهَا الرَّسُولُ الكَرِيمُ – لِعِبَادِي المؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِم لِغَيْرِهِم
الكَلِمَةَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالْعِبَارَةَ الَّتِي هِيَ أَرَقُّ وَأَلْطَفُ.
يَعني :**اِسْتِخْدامُ لُغَةٍ مُحْتَرَمَةٍ، مُهَذَّبَةٍ، وَبَنَّاءَةٍ عِندَ الرَّدِّ عَلَى الآخَرِينَ،**
سَوَاءٌ كَانُوا أَصْدِقَاءَ أَوْ زُمَلاءَ أَوْ حَتَّى مَجهولِين.

لِأَنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تَزِيدُ فِي الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَتَكْسِرُ حِدَّةَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ.

"**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**"، وَيَنْزَغُ بِمَعْنَى يُفْسِدُ،
أَي إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَبَّصُ بِكُمْ،
وَيَتَلَمَّسُ السُّقَطَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، وَالْعَثَرَاتِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ،
لِكَيْ يُشِيعَ الشَّرَّ بَيْنَكُمْ، وَيُهَيِّجَ أَعْدَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ.

فَالْشَّيْطَانُ هُنَا يُشْبِهُ **الخَوارِزْمِيَّاتِ الَّتِي تُعَزِّزُ المُحْتَوَى السَّلْبِيَّ أَوِ الجَدَلِيَّ،**
لِأَنَّهُ يُشَجِّعُ عَلَى انْتِشَارِ الكَرَاهِيَةِ وَالشِّجَارِ بَيْنَ النَّاسِ.
فَيَخْرُجُ الْكَلَامُ إِلَى أَفْعَالٍ، فَيَقَعُ الشَّرُّ وَالخِصَامُ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَسْتَخِفَّ بِالْقَوْلِ الْفَاسِدِ،
لِأَنَّهُ يُثِيرُ مُفَاسِدَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: "**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**". *البقرة:٨٣*

أَيْ اِحْرِصْ عَلَى الإِيجابِيَّةِ وَاللُّباقَةِ وَالصِّدْقِ فِي كَلامِكَ عَلَى الإِنْتَرْنِتِ.

إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**". *الطبراني، البيهقي*

يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لا يَسْتَهِينَ بِالذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ،
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ مُجَرَّدَ تَصَفُّحِ مُحْتَوًى مُسِيءٍ أَوْ مُتَابَعَةِ مَنْشُورَاتٍ تَزْرَعُ الْفَسَادَ فِي النَّفْسِ
فَكُلُّ تَصَرُّفٍ صَغِيرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَاكَمَ وَيُؤَدِّي إِلَى أَفْعَالٍ أَكْبَرَ وَأَخْطَرَ، كَمَا حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ.

إِذَا وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي ذَنْبٍ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَشْعُرَ بِثِقَلِ الْمُصِيبَةِ، مَهْمَا بَدَا الذَّنْبُ صَغِيرًا
فَقَدْ قَالَ السَّلَفُ:

"**لا تَنْظُرْ إِلَى صُغْرِ الذَّنْبِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ**".

وَيَقُولُونَ: "**لَا كَبِيرَةَ إِذَا وَاجَهَكَ بِفَضْلِهِ، وَلَا صَغِيرَةَ إِلَّا عَامَلَكَ بِعَدْلِهِ**".

كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

"**خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى،**
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى،
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً، إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى"

فَالْكَلِمَةُ الصَغِيرَةُ تُكْتَبُ أَوْ تُنْشَرُ بِلا وُعْيٍ قَدْ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا دَرَجَاتٍ
إِنْ كَانَتْ مُرْضِيَةً لِلَّهِ،
أَوْ تُسْقِطُهُ فِي النَّارِ إِنْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لَهُ

فَلْتَكُنِ الرِّقَابَةُ الذَّاتِيَّةُ عَلَى الْكَلَامِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ الْمُحْتَوَى أَسَاسًا
لِمُوَاجَهَةِ الْاِنْزِلَاقِ نَحْوَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ،
وَلِلحِفَاظِ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّرُورِ الْمُتَرَاكِمَةِ عَبْرَ الْعَالَمِ الرَّقْمِيّ.

دَرْسٌ مِنْ رِحْلَةِ الْمِعْرَاجِ

فِي رِحْلَةِ المِعْرَاجِ، اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَحْوَالِ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،
فَرَأَى أَناسًا تَقْرِضُ أَلْسِنَتَهُمْ وَشِفَاهَهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ،
فَسَأَلَ جِبْرِيلَ عَنْهُمْ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ.

وَرَأَى أَقْوَامًا لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَجْرَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ،
فَسَأَلَ جِبْرِيلَ عَنْهُمْ، فَقَالَ:
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.
وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الْكَثِيرَةِ؛
لِأَنَّ الْمَعَاصِي الَّتِي تَكُونُ بِاللِّسَانِ كَثِيرَةٌ،
كَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْكَذِبِ

ثُمَّ رَأَى ثَوْرًا خَرَجَ مِنْ مَنْفَذٍ ضَيِّقٍ يُرِيدُ العَوْدَةَ إِلَيْهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ،
فَسَأَلَ جِبْرِيلَ عَنِ الثَّوْرِ، فَقَالَ:
هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْفَاسِدَةِ،
فَالْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ لَا تَعُودُ أَبَدًا. *كتب التفسير*

وَفِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيِّ، وَعَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ،
يُمْكِنُ أَنْ تَتَّخِذَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْفَاسِدَةُ أَشْكَالًا مُتَعَدِّدَةً،
مِثْلَ مَنْشُورَاتٍ ضَارَّةٍ،
تَغْرِيدَاتٍ مُسِيئَةٍ،
أَوْ فِيدْيُوهَاتٍ تَشَوِّهُ سُمْعَةَ الآخَرِينَ،
وَكُلُّ كَلِمَةٍ تُنْشَرُ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ قَدْ تَصِلُ إِلَى آلَافِ الأَشْخَاصِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ،
فَلَا يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُهَا أَوْ مَحْوُ أَثَرِهَا بِسُهُولَةٍ.

إِنَّ إِشَاعَةَ الْفِتْنَةِ وَالْغِيبَةِ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ تَشْبِهُ تَمَامًا خُطَبَاءَ الفِتْنَةِ الَّذِينَ رَآهُم النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّارِ، فَهِيَ تَضُرُّ بِالآخَرِينَ وَتَمَسُّ أَعْرَاضَهُمْ وَسُمْعَتَهُمْ كَمَا رَأَى الأَقْوَامَ الَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ أَظْفَارَ النُّحَاسِ فِي التَّعْذِيبِ.

كُلُّ مَنْشُورٍ أَوْ كَلِمَةٍ ضَارَّةٍ مَكْتُوبَةٍ أَوْ مُنْشُورَةٍ رَقْمِيًّا لَهَا أَثَرٌ دَائِمٌ عَلَى الْفِكْرِ وَالسُّلُوكِ وَالْمُجْتَمَعِ،
وَقَدْ تُؤَدِّي إِلَى انْتِشَارِ الْقِيَمِ الْمُنْحَرِفَةِ وَتَقْوِيضِ الأَخْلَاقِ الْعَامَّةِ.

لِذَلِكَ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُفَكِّرَ جَيِّدًا قَبْلَ النَّشْرِ،
فَكُلُّ كَلِمَةٍ، حَتَّى وَلَوْ بَدَتْ بَسِيطَةً، قَدْ تَحْمِلُ آثَارًا كَبِيرَةً لَا تَعُودُ.

لِذَلِكَ سَيُكْثُرُ الْمُسْلِمُ مِنَ الصَّمْتِ لَوْ تَذَكَّرَ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ مَحْسُوبٌ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَسَيَمْتَنِعُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ لَوْ تَذَكَّرَ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مَرْصُودَةٌ فِي سِجِلِّ أَعْمَالِهِ: "**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**". *ق: ١٨*

فَكُلُّ كَلِمَةٍ تُنْشَرُ أَوْ تُقَالُ، وَكُلُّ تَغْرِيدَةٍ أَوْ مَنشورٍ أَوْ تَعْلِيقٍ يُسَجَّلُ وَيُرَاقَبُ، وَيُعَدُّ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي يَحْسِبُهَا اللَّهُ عَلَى صَاحِبِهَا.

يَسْجِلُهُ الْمَلَكَانِ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْكَشِفُ الْحِسَابُ وَيَكُونُ الْجَزَاءُ:
"**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**". *النور: ٢٤*

وَاسْمَعُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ:
"**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**". *البخاري ومسلم*

يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

"أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ.
قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟
قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ". *صحيح مسلم*

وَالبُهْتَانُ هُوَ أَعْظَمُ الكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ.
وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي عَدِّهَا مِنَ الكَبَائِرِ أَوِ الصَّغَائِرِ،
غَيْرَ أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى حُرْمَتِهَا.
تِلْكَ هِيَ جَرِيمَةُ الغِيبَةِ الَّتِي صَوَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كَلِمَاتٍ بَلِيغَةٍ خَالِدَةٍ فَقَالَ:

"وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ" *الحُجُرَات: ١٢*

فَالغِيبَةُ كَمَا صَوَّرَتْهَا الآيَةُ الكَرِيمَةُ هِيَ مَائِدَةٌ مَمْدُودَةٌ، قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا فَرِيسَةٌ مِنَ البَشَرِ،
وَحَوْلَهَا شِرْذِمَةٌ مِنَ الخَلْقِ،
وَقَدْ جَعَلُوا يَنَالُونَ مِنْ هَذِهِ الفَرِيسَةِ، قَضْمًا بِأَسْنَانِهِمْ وَلَعْقًا بِأَلْسِنَتِهِمْ.

قَالَ النَّوَوِيُّ مُفَصِّلًا الغِيبَةَ بِقَوْلِهِ:
إِنَّهَا ذِكْرُ المَرْءِ بِمَا يَكْرَهُ،
سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي بَدَنِ الشَّخْصِ أَوْ دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ أَوْ نَفْسِهِ
أَوْ خِلْقَتِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَالِدِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ زَوْجِهِ أَوْ ثَوْبِهِ
أَوْ حَرَكَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ،
سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِاللَّفْظِ أَوِ الإِشَارَةِ أَوِ الرَّمْزِ.

وَمَعَ انْتِشَارِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ وَظُهُورِهَا فِي حَيَاتِنَا،
تَعَاظَمَ خَطَرُ الغِيبَةِ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ:

•التَّعْلِيقَاتُ المسِيئَةُ تَحْتَ الصُّوَرِ أَوِ المقَاطِعِ، تَتَنَاقَلُهَا الآلَافُ فِي ثَوَانٍ.

•الميمزُ السَّاخِرَةُ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ أَشْخَاصًا أَوْ جَمَاعَاتٍ، فَتَجْعَلُ سُمْعَتَهُم مَادَّةً لِلسُّخْرِيَةِ وَالتَّنَدُّرِ.

•المحَادَثَاتُ الخَاصَّةُ أَوْ غُرَفُ الدَّرْدَشَةِ الَّتِي تَتَطَوَّرُ لِسَرْدِ أَخْبَارِ الغَيْرِ وَعُيُوبِهِم، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى نَشْرِ الإِشَاعَاتِ وَالافْتِرَاءَاتِ.

•البَثُّ المبَاشِرُ وَالمقَاطِعُ القَصِيرَةُ الَّتِي تُحَوِّلُ حَيَاةَ الآخَرِينَ إِلَى مَوَادٍّ لِلتَّعْلِيقَاتِ وَالنِّقَاشَاتِ الحَادَّةِ.

فَالغِيبَةُ فِي العَالَمِ الرَّقْمِيِّ أَخْطَرُ؛ لِأَنَّ الكَلِمَةَ المؤْذِيَةَ تُكْتَبُ، فَتَبْقَى وَتَنْتَشِرُ،
وَيُسَجِّلُهَا الملَكَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
"مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" *ق: ١٨*

وَلِذَلِكَ جَاءَ مَبْدَأُ سَدِّ الذَّرَائِعِ هُنَا أَيْضًا:

•تَرْكُ الغُرَفِ وَالمجْمُوعَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الغِيبَةُ وَالقِيلُ وَالقَالُ.

•عَدَمُ مُشَارَكَةِ الميمزِ وَالمحْتَوَى الَّذِي يَمَسُّ سُمْعَةَ أَحَدٍ.

•إِغْلَاقُ التَّعْلِيقَاتِ أَوْ عَدَمُ قِرَاءَتِهَا إِذَا كَانَتْ مَصْدَرَ فِتْنَةٍ.

فَالمسْلِمُ مَسْؤُولٌ عَنْ كُلِّ كَلِمَةٍ يَكْتُبُهَا أَوْ يُشَارِكُهَا،
وَهِيَ إِمَّا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ أَوْ فِي مِيزَانِ سَيِّئَاتِهِ.

ذَهَبَ بَعْضُكَ

الوَقْتُ هُوَ عُمْرُ الإِنْسَانِ الَّذِي سَيُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ:
"لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ؛ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ؛ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ؛ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ؛ فِيمَ أَبْلَاهُ؟" *الترمذي*

فَالْوَقْتُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَشُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ يَكُونُ بِاسْتِثْمَارِهَا فِيمَا يَنْفَعُ،
فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا بِإِضَاعَتِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ وَاللَّهْوِ.

الفَرَاغُ فِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيِّ

فِي زَمَنِنَا الْحَالِي، تَتَوَفَّرُ أَمَامَ الْمُسْلِمِ وَسَائِلُ تَرْفِيهٍ لَا حِصْرَ لَهَا:
مَوَاقِعُ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، الْفِيدِيُوهَاتُ، الْأَلْعَابُ الْإِلِكْتْرُونِيَّةُ، وَالْمُحْتَوَى الرَّقْمِيُّ الْمُتَنَوِّعُ.
وَإِذَا لَمْ يَتَحَلَّى الْمُسْلِمُ بِالْوَعْيِ وَالرَّقَابَةِ عَلَى اسْتِخْدَامِ وَقْتِهِ، أَصْبَحَ هَذَا الْفَرَاغُ مَصْدَرًا لِلضِّيَاعِ،
بَدَلَ أَنْ يَكُونَ فُرْصَةً لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ.
فَالْوَقْتُ السَّرِيعُ الانْقِضَاءُ فِي التَّمْرِيرِ وَالتَّصَفُّحِ أَوِ الانْشِغَالِ بِالْمُحَادَثَاتِ الْفَارِغَةِ
يُعَدُّ ضَيَاعًا لِلْعُمْرِ، يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،
لأَنَّهُمْ لَا يَسْتَثْمِرُونَهُمَا فِيمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللهِ،
بَلْ يُصْرِفُونَهُمَا فِيمَا لَا يَنْفَعُ.
وَحَثَّ أَيْضًا عَلَى اغْتِنَامِ الْوَقْتِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ:
"إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا" *البخاري*

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ:
**"اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،
وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ".** *البيهقي*

فَهَذِهِ خَمْسَةُ مَغَانِمٍ: العُمُرُ، وَالشَّبَابُ، وَالصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ، وَالغِنَى.

إِنْ فَرَّطَ فِيهَا الإِنْسَانُ، فَيُوشِكُ أَنْ يَفْقِدَهَا.

هَذَا الْحَدِيثُ حَثٌّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالانْشِغَالِ عَنْهَا بِسَبَبِ الْمَرَضِ أَوِ الْمَوْتِ أَوِ الْهَرَمِ أَوِ الْفَقْرِ أَوْ أَيِّ شِدَّةٍ شَاغِلَةٍ.

فَالْفَرَاغُ وَقْتٌ ثَمِينٌ يَنْبَغِي اسْتِثْمَارُهُ فِي الْعَمَلِ النَّافِعِ وَالْجَادِّ،

وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ،

لَا فِي اللَّهْوِ وَإِضَاعَتِهِ عَلَى الْإِنْتَرْنِت

أَوْ فِي تَصَفُّحِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ بِلَا فَائِدَةٍ.

تَقْسِيمُ الوَقْتِ حَسَبَ العُلَمَاءِ

١. سَاعَةٌ مَضَتْ: لَا يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ اسْتِعَادَتُهَا مَهْمَا انْقَضَتْ.

٢. سَاعَةٌ رَاهِنَةٌ: يَجِبُ أَنْ يُجَاهِدَ فِيهَا نَفْسَهُ وَيُرَاقِبَ رَبَّهُ وَيَسْتَثْمِرَهَا فِيمَا يَنْفَعُ.

٣. سَاعَةٌ مُسْتَقْبَلِيَّةٌ: لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، وَالْعَبْدُ لَا يَدْرِي إِنْ كَانَ سَيَعِيشُ لَهَا، فَيَنْبَغِي لَهُ الاسْتِعْدَادُ لِاسْتِقْبَالِهَا بِمَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللهِ.

حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى الوَقْتِ

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

"أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ حِرْصًا عَلَى دَرَاهِمِكُمْ وَدَنَانِيرِكُمْ" حلية الأولياء

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَمِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي،

وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي حلية الأولياء"

وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ أَيْضًا:

"يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا مَرَّ يَوْمٌ، ذَهَبَ بَعْضُكَ" حلية الأولياء

اسْتِثْمَارُ العُمْرِ وَالوَعْيُ بِالزَّمَنِ فِي العَصْرِ الرَّقْمِيّ

الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ خَلَّدَهَا بِأَحْسَنِ الأَعْمَالِ.
فَبَادِرُوا إِلَى اغتْنَامِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،
وَالاسْتِفَادَةِ مِنَ العُمْرِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا
قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمُ المَوْتُ.

فِي زَمَنِ الإِنْتَرْنِت وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، يَجِبُ عَلَى المسْلِمِ أَنْ يَكُونَ وَاعِيًا لِكُلِّ دَقِيقَةٍ يَقْضِيهَا، فَلَا يُضَيِّعُهَا فِي مُحْتَوًى يُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ يَجْهَلُ قِيمَةَ عُمْرِهِ الآنَ، سَيَتَذَكَّرُ قِيمَتَهُ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ،
حِينَ تَأْتِيهِ سَاعَةُ الاحْتِضَارِ
وَيَتَمَنَّى لَوْ مُدَّتْ لَهُ مِهْلَةٌ مِنَ الزَّمَنِ لِيُصْلِحَ مَا أَفْسَدَ وَيَتَدَارَكَ مَا فَاتَ.
وَمِثل هؤلاء لَنْ يَسْمَعَوا غَيْرَ جَوَابٍ وَاحِدٍ:

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون: ١١

فَالزَّمَنُ إِذَا مَضَى لَا يَعُودُ، وَسَرِيعًا مَا يَنْقَضِي، وَمَا فَاتَ مِنْهُ لَا يُعَوَّضُ،
وإِنَّ " **دَقَاتُ قَلْبِ المَرءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٍ**" أَحْمَدُ شَوْقِي

هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حِفْظِ النَّفْسِ وَالفَضِيلَةِ

عن ابن مسعود رضي الله عنه قالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فقَالَ:

«يَا ابْنَ مَسْعُود» فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَهَا ثَلاثًا،

ثُمَّ سَأَلَ: «أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟»

فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إِذَا فَقِهُوا فِي دِينِهِمْ». الطبراني

وهذا لا يَتِمُّ إلا بِصُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ الزَّاهِدِينَ الصَّالِحِينَ،

لِتَتَأَدَّبَ النَّفْسُ بِآدَابِهِمْ، وَتَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَتَسْتَمِدَّ مِنْهُمْ،

فَإِنَّ النَّفْسَ لا تَتَأَثَّرُ بِشَيْءٍ كَالصُّحْبَةِ،

وَلا تَتْرُكُ عَادَاتِهَا إِلَّا بِصُحْبَةِ أَهْلِ الصَّلاحِ وَالْمُنْسَلِخِينَ عَنِ عَادَاتِ السُّوءِ.

وَعَنْ أَنْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَقْوَامٍ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلا شُهَدَاءَ،

يُغْبَطُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ؟»

قَالُوا: «مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟» قَالَ:

«الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَبِّبُونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ نَصَحًا». فقه السيرة

وَيُمْكِنُ تَطْبِيقُ هَذَا الْمَبْدَأِ فِي:

- مُتابَعَةِ الحساباتِ الصَّالِحَةِ وَالْمَوَاقِعِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي تُقَرِّبُ النَّفْسَ إِلَى الله، وَتُعَلِّمُ أَدَبَ الْكَلَامِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ.
- تَجَنُّبِ المجموعاتِ وَالصفحاتِ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ السُّوءَ وَتَحُثُّ عَلَى السُّخْرِيَةِ وَالافْتِرَاءِ وَالغيبةِ.
- النَّشْرِ وَالمشَارَكَةِ بِمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى، وَالابتعادِ عَمَّا يُغِيظُ النَّفْسَ وَيُوقِعُ فِتَنًا.
- الاجتنابِ عن النقاشاتِ السَّاخِرَةِ أو الاستهزاء بالآخرين، فَتَبْلُغَ الرسالةُ الهَدَفَ الرَّقْمِيَّ بِالْخَيْرِ وَالْهُدُوءِ، لا بالفتنةِ وَالضَّرَرِ.

فَحَصْرُ الصَّحْبَةِ عَلَى أَهْلِ الصَّلاحِ يُسَاعِدُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظِ النَّفْسِ مِنَ السُّوءِ.

لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ

يَقُولُ تَعَالَى:

"وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" لقمان:٦

وَقَد ذَكَرَ المفَسِّرُونَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ رِوَايَاتٍ أَشْهَرُهَا، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ.
اشْتَرَى قِينَةً – أَي مُغَنِيَةً – وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ يُرِيدُ الإِسْلَامَ إِلَّا أَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى قِينَتِهِ.
فَيَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِ وَاسْقِيهِ وَغَنِّيهِ، وَرُبَّمَا يَدْعُوهَا لِلتَّفَحُّشِ مَعَهُ.
فَهَذَا خَيْرٌ مِمَّا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَأَنْ تُقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَلَهْوُ الْحَدِيثِ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ كَلامٍ يُلْهِي القَلْبَ وَيُشْغِلُهُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ – تَعَالَى–
كَالْغِنَاءِ وَالْمَلَاهِي، وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ.

وَقَد فَسَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ هَذَا بِالْغِنَاءِ، **وَالأَفْضَلُ تَفْسِيرُهُ بِكُلِّ حَدِيثٍ لا يُثْمِرُ خَيْرًا.**

فِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيِّ، يُوَازِي لَهْوُ الْحَدِيثِ مَا نَرَاهُ اليَوْمَ مِنْ مُحْتَوًى رَقْمِيٍّ فَارِغٍ عَلَى الْإِنْتَرْنِت، مِثْلَ:

- الفِيدْيُوهاتِ التّافِهَةِ الَّتِي تَشْغَلُ وَقْتَ الإِنْسَانِ دُونَ فَائِدَةٍ.
- الْمَنشُورَاتِ السَّخِيفَةِ أَوْ المضِلَّةِ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ.
- الأَلْعَابِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ الَّتِي تُلهِي عَنِ الذِّكْرِ وَطَلَبِ العِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.
- الانشغالِ بِالْمُحَادَثَاتِ الفَارِغَةِ أَوِ الشَّائِعَاتِ وَالثَّرْثَرَةِ الرَّقْمِيَّةِ.

كُلُّ هَذِهِ الْوَسَائِلِ إِذَا أُفْرِطَ فِيهَا الإِنْسَانُ تُصْبِحُ مُضَيِّعَةً لِلْعُمْرِ.
وَيَغْفَلُ الْمُسْلِمُ عَنْ اسْتِخْدَامِ الْوَقْتِ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَد حَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِضَاعَةِ الصِّحَّةِ وَالْفَرَاغِ فِيمَا لَا يُنْفَعُ.
فَالْفَرَاغُ اليَوْمَ يَشْمَلُ وَقْتَ الْإِنْتَرْنِتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ.
فَإِذَا لَمْ يُسْتَثْمَرْ فِي الْخَيْرِ، أَصْبَحَ وَسِيلَةً لِلضَّلَالِ وَالإِلْهَاءِ.

بَدَلَ أَنْ يَكُونَ فُرْصَةً لِلذِّكْرِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَمُمَارَسَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.
مِثْلَمَا كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ يَشْتَرِي لَهْوَ الْقِينَةِ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الإِسْلَامِ.

اليَوْمَ بَعْضُ الْمُحْتَوَيَاتِ الرَّقْمِيَّةِ قَد تُضِلُّ الْقُلُوبَ عَن سَبِيلِ اللهِ.
وَتُصْبِحُ مَادَّةً لِلسُّخْرِيَةِ وَالاِسْتِهْزَاءِ بِالْقِيَمِ وَالدِّينِ.

لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ وَاعِيًا وَيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُفِيدِ وَالضَّارِّ.
وَأَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ دَقِيقَةٍ يَقْضِيهَا عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ.
فَكُلُّ لَحْظَةٍ ضَائِعَةٍ تُحْسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

سَدُّ الذَّرائِعِ

يَقُولُ تَعَالَى:

"وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ "*الأنعام:١٠٨*

اَلْآيَةُ تَنْهَى عَنْ سَبِّ الْبَاطِلِ إِذَا كَانَ سَيُؤَدِّي إِلَى مَفْسَدَةٍ أَكْبَرَ، كَسَبِّ الْحَقِّ وَالدِّينِ.

وَهَذَا يَتَكَرَّرُ الْيَوْمَ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ:

- فِي التَّعْلِيقَاتِ الْمُسْتَفِزَّةِ: حَيْثُ يَبْدَأُ الْبَعْضُ بِسَبِّ الْأَدْيَانِ، فَيَرُدُّ الْآخَرُونَ بِسَبِّ الْإِسْلَامِ وَالرَّسُولِ ﷺ، فَتَحِلُّ الْفَوْضَى بَدَلَ الْحِوَارِ.
- فِي الْمِيمْزِ السَّاخِرَةِ: يَسْخَرُ الْبَعْضُ مِنَ الْأَدْيَانِ، فَيَأْتِي الرَّدُّ بِالسَّبِّ الْمُتَبَادَلِ.
- فِي النِّقَاشَاتِ الْمُبَاشِرَةِ: اَلِانْفِعَالُ يَقُودُ إِلَى كَلِمَاتٍ بَذِيئَةٍ بِحَقِّ الْمُقَدَّسَاتِ بِلَا قَصْدٍ.

فَالْقُرْآنُ يَأْمُرُ بِالْحِكْمَةِ وَالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لَا بِالسِّبَابِ، سَدًّا لِلذَّرَائِعِ وَحِفْظًا لِلْقُلُوبِ مِنَ الْفِتْنَةِ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**لَا تَسُبُّوهُمْ وَلَكِنِ اذْكُرُوا قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ**.

فَالسَّبُّ لَا يُحَقِّقُ مَصْلَحَةً دِينِيَّةً، بَلْ يَزِيدُ الْعَدَاوَةَ وَيُضِلُّ النَّاسَ.

ومَبْدَأُ **سَدِّ الذَّرَائِعِ** يَعْنِي تَرْكَ مَا قَدْ يَجُرُّ إِلَى مَعْصِيَةٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي أَصْلِهِ مُبَاحًا.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ:

- تَرْكُ الصَّفَحَاتِ الَّتِي تُكْثِرُ مِنَ الْمِيمْزِ السَّاخِرَةِ عَلَى الْأَدْيَانِ.
- تَجَنُّبُ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تَنْشُرُ الْإِلْحَادَ أَوِ الْأَفْكَارَ الْمُنْحَرِفَةَ.
- الِابْتِعَادُ عَنْ غُرَفِ الدَّرْدَشَةِ أَوِ الْأَلْعَابِ الَّتِي يَشِيعُ فِيهَا السَّبُّ.

فَإِنْ غَابَ الْحِوَارُ الْحَسَنُ، فَتَرْكُ الْمَكَانِ هُوَ عَيْنُ الْحِكْمَةِ وَسَدُّ الذَّرِيعَةِ.

هَذِهِ الْآيَةُ بَاقِيَةٌ، لَا نَسْخَ لَهَا، وَحُكْمُهَا وَاضِحٌ:

إِذَا خُشِيَ أَنْ يُؤَدِّيَ سَبُّهُمْ إِلَى سَبِّ اللَّهِ أَوْ رَسُولِهِ ﷺ،

فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسُبَّ أَصْنَامَهُمْ أَوْ دِينَهُمْ، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَحُثُّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

النَّهْيُ القُرْآنِيُّ وَالوِقَايَةُ الأَخْلَاقِيَّةُ

وَكَمَا فِي الطِّبِّ، الوِقَايَةُ أَهَمُّ مِنَ العِلَاجِ، فَكَذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ:
إِغْلَاقُ بَابِ الفَاحِشَةِ مِنْ أَصْلِهِ أَضْمَنُ لِلإِنسَانِ مِنَ الدُّخُولِ فِي مَعْصِيَةٍ
يَصْعُبُ الخُرُوجُ مِنْ آثَارِهَا. قَالَ تَعَالَى:
"وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا". الإسراء: ٣٢

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَنْهَى فَقَطْ عَنْ فِعْلِ الزِّنَا نَفْسِهِ،
بَلْ يَنْهَى حَتَّى عَنِ الاقْتِرَابِ مِنْهُ،
أَيْ عَنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ طَرِيقًا أَوْ وَسِيلَةً تُؤَدِّي إِلَيْهِ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الفِعْلُ فِي أَصْلِهِ مُحَرَّمًا.
وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ مَبْدَأ **سَدِّ الذَّرَائِع** :
مَنْعُ الوَسَائِلِ المبَاحَةِ إِذَا كَانَتْ تُؤَدِّي إِلَى مَفْسَدَةٍ مُحَرَّمَةٍ غَالِبًا أَوْ يَقِينًا.

فَالنَّهْيُ عَنِ "الاقْتِرَابِ" يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلوُقُوعِ فِي الزِّنَا،
مِثْلَ الخَلْوَةِ المحَرَّمَةِ، أَوِ النَّظَرِ بِشَهْوَةٍ، أَوْ نَشْرِ الفَاحِشَةِ إِعْلَامِيًّا،

وَبِشَكْلٍ أَوْضَحَ، فَإِنَّ وَسَائِلَ الاقْتِرَابِ مِنَ الفَاحِشَةِ لَمْ تَعُدْ مَحْصُورَةً بِالمكَانِ أَوِ الزَّمَانِ،
بَلْ صَارَتْ مُتَاحَةً بِضَغْطَةِ زِرٍّ، وَهُنَا يَظْهَرُ مَبْدَأُ سَدِّ الذَّرَائِعِ بِقُوَّةٍ:

- مَنَصَّاتٌ تَنْشُرُ صُوَرًا أَوْ مَقَاطِعَ خَادِشَةً لِلْحَيَاءِ قَدْ تَبْدَأُ بِالْفُضُولِ وَتَنْتَهِي بِالْمُحَرَّمِ.
- تَطْبِيقَاتُ المواعَدَةِ الَّتِي تَدْعُو لِلْعَلَاقَاتِ خَارِجَ إِطَارِ الزَّوَاجِ.
- المسَلسَلاتِ وَالأَفْلَامُ الَّتِي تُطَبِّعُ العَلَاقَاتِ المحَرَّمَةَ وَتُظْهِرُهَا بِصُورَةٍ عَادِيَّةٍ أَوْ جَذَّابَةٍ.
- الأَغَانِي وَالمِيمْزُ الَّتِي تَسْخَرُ مِنَ العِفَّةِ أَوْ تُمَجِّدُ الفَاحِشَةَ.
- غُرَفُ الدَّرْدَشَةِ وَالبَثُّ المبَاشِرُ الَّذِي يَبْدَأُ بَرِيئًا ثُمَّ يَتَطَوَّرُ إِلَى عَلاقَاتٍ عَاطِفِيَّةٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ.
- البُثُوثُ المفْتُوحَةُ الَّتِي يُتَبَادَلُ فِيهَا الكَلَامُ أَوِ الصُّوَرُ غَيْرُ اللَّائِقَةِ.

فَتَرْكُ هَذِهِ المَوَاقِعِ هُوَ عَيْنُ الحِكْمَةِ وَسَدُّ الذَّرِيعَةِ.

إِحْسَانُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

يَقُولُ تَعَالَى :**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**، *الحجرات: ١٢*
أَيِ: ابْتَعِدُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
لِأَنَّ هَذِهِ الظُّنُونَ السَّيِّئَةَ الَّتِي لَا تَسْتَنِدُ إِلَى دَلِيلٍ أَوْ أَمَارَةٍ إِنَّمَا هِيَ مُجَرَّدُ تُهَمٍ تُؤَدِّي
إِلَى تَوَلُّدِ الشُّكُوكِ وَالْمَفَاسِدِ فِيمَا بَيْنَكُمْ.

فَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:"**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**"، *البخاري ومسلم*
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ:" **إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ مَالَهُ وَدَمَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ.**"*ابن ماجة*

وَإِنْ كَانَ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا لِتَتَّقِيَهِ وَلَا يَتَعَدَّى أَثَرُ ذَلِكَ إِلَى الْغَيْرِ فَذَلِكَ مَحْمُودٌ غَيْرُ مَذْمُومٍ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى :"**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**" هُوَ التُّهْمَةُ وَالتَّخَوُّنُ لِلْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالنَّاسِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، لِأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا مَحْضًا، فَلْيَجْتَنِبْ كَثِيرًا مِنْهُ احْتِيَاطًا.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ.**" *الطبراني*

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ" :**ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا، وَمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهَمِ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.**" *سير أعلام النبلاء*

وَفِي عَصْرِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، صَارَ سُوءُ الظَّنِّ يَنْتَشِرُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ، أَحْيَانًا عَبْرَ تَعْلِيقٍ مُقْتَضَبٍ، أَوْ مَنْشُورٍ مُبْهَمٍ، أَوْ إِشَاعَةٍ مُتَسَرِّعَةٍ.

مِنْ أَبْرَزِ صُوَرِ ذَلِكَ:
- تَفْسِيرُ الْمَنْشُورَاتِ أَوِ الصُّوَرِ الْخَاصَّةِ بِالآخَرِينَ عَلَى أَسْوَأِ الاحْتِمَالَاتِ دُونَ دَلِيلٍ، مِمَّا يُوَلِّدُ الشُّكُوكَ وَالْعَدَاوَاتِ.
- نَقْلُ الْأَخْبَارِ أَوِ الْقِصَصِ غَيْرِ الْمُؤَكَّدَةِ، مِمَّا يُثِيرُ الْفِتَنَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُشَوِّهُ السُّمْعَةَ.

•الاشْتِبَاهُ فِي النِّيَّاتِ وَرَاءَ كُلِّ مَنْشُورٍ أَوْ تَغْرِيدَةٍ، بَدَلًا مِنْ إِحْسَانِ الظَّنِّ كَمَا أَمَرَ الإِسْلَامُ.

•الْوُسُومُ وَالتَّعْلِيقَاتُ الْجَمَاعِيَّةُ الَّتِي تَبْنِي عَلَى الظُّنُونِ فَتَتَحَوَّلُ إِلَى حَمَلَاتِ تَشْهِيرٍ ظَالِمَةٍ.

فِي الْعَالَمِ الرَّقْمِيِّ، مُجَرَّدُ تَغْرِيدَةٍ أَوْ صُورَةٍ قَدْ تُؤَوَّلُ خَطَأً، فَتُطْلِقُ سَيْلًا مِنَ الِاتِّهَامَاتِ، وَهُوَ مَا نَهَى عَنْهُ الإِسْلَامُ حِينَ أَمَرَ بِاجْتِنَابِ الظَّنِّ السَّيِّئِ؛ لِأَنَّهُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْفِتَنِ، وَيَهْدِمُ الثِّقَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَمِنْ مَبْدَأِ الْوِقَايَةِ وَسَدِّ الذَّرَائِعِ:

•لَا تُشَارِكْ مَنْشُورًا عَن أَحَدٍ دُونَ تَأَكُّدٍ.

•وَالْتَزِمْ قَاعِدَةَ "**ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ.**"

•فَإِذَا رَأَيْتَ مَا يُرِيبُ، فَاسْأَلْ بِلُطْفٍ بَدَلًا مِنْ نَشْرِ الظَّنِّ أَوِ الْحُكْمِ الْمُسْبَقِ.

قال تعالى:

"**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا**" النور: ١٢ .

تَوجِيهُ الأَبْنَاءِ فِي وَقْتِ التَّقْنِيَّةِ وَحِفْظُهُمْ مِنَ الْخَطَرِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ التحريم: ٦ .

هذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ تَحْمِلُ مَسْؤُولِيَّةً جَسِيمَةً.

فَهِيَ نِدَاءٌ مِنَ اللهِ إِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ.

أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ أَوَّلًا.

ثُمَّ بِأَهْلِهِ، فَيَقِيهِم عَذَابَ النَّارِ بِتَرْبِيَتِهِم وَتَوْجِيهِهِم.

لَمَّا نَزَلَت هَذِهِ الآيَةُ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَقِي نُفُوسَنَا، فَكَيْفَ بِأَهْلِينَا؟

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"**تَنْهُونَهُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ، وَتَأْمُرُونَهُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ**". كتب التفسير

فَالْأَمْرُ لَيْسَ مُجَرَّدَ وَصَايَا عَابِرَةٍ،

بَلْ هُوَ تَكْلِيفٌ شَرْعِيٌّ أَنْ نُحِيطَ أَبْنَاءَنَا بِجِدَارٍ مِنَ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ،

وَنُحَصِّنَهُمْ بِحُسْنِ الأَخْلَاقِ.

وَنُهَيِّئَ لَهُمْ بِيئَةً صَالِحَةً وَصُحْبَةً طَيِّبَةً.

إِنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى تَوْجِيهٍ مُسْتَمِرٍّ،

وَقُدْوَةٍ عَمَلِيَّةٍ،

وَرِعَايَةٍ لا تَنْقَطِعُ.

حَتَّى ينشؤوا نَشْأَةً قَوِيمَةً لا يَجِدُ فِيهَا أَحَدٌ مَسَوِّغًا لِفَضْحِهِم أَوِ ابْتِزَازِهِم.

وَفِي بِيئَةٍ تَعُجُّ بِالشَّهَوَاتِ، وَمُجْتَمَعٍ يَكَادُ يَخْلُو مِنَ الرَّقِيبِ وَالحَسِيبِ،

يُصْبِحُ دَوْرُ الأُسْرَةِ مُضَاعَفًا.

وَدَوْرُ المِسْجِدِ يَجِبُ أَنْ يَمْتَدَّ مِن إِقَامَةِ الصَّلَاةِ إِلَى التَّرْبِيَةِ وَالتَّوْجِيهِ وَالإِرْشَادِ.

فَبِشَيْءٍ مِنَ المتَابَعَةِ، وَكَثِيرٍ مِنَ الحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ،
نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ خَيْرَاتِ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.
وَنُحْمِي أَبْنَاءَنَا مِن شُرُورِهَا.

وَتَأَمَّلُوا حَالَ عُقُولِ الأَبْنَاءِ: إِنَّهَا كَالأَكْوَابِ الفَارِغَةِ.
إِن لَمْ تُمَلَّأْهَا بِالخَيْرِ وَالمعْرِفَةِ النَّافِعَةِ، مَلأَهَا غَيْرُكُم بِالشُّرُورِ وَالأَبَاطِيلِ.

فَالْمَسْؤُولِيَّةُ مَلْقَاةٌ عَلَى عَاتِقِنَا نَحْنُ:
أَنْ نَسْبِقَ إِلَى عُقُولِهِم قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَ إِلَيْهَا الشُّبُهَاتُ.
وَأَنْ نَغْرِسَ فِي قُلُوبِهِم حُبَّ اللهِ وَالخَشْيَةَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تُزْرَعَ فِيهَا الأَهْوَاءُ.

فَلْنَكُن نَحْنُ السَّدَّ المنِيعَ الَّذِي يَحْفَظُ أَبْنَاءَنَا مِن نَارِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.
وَلِنَسْتَعِينِ بِاللهِ الَّذِي قَالَ:
﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ يوسف: ٦٤.

كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

فَإِذَا كَانَ مِنْ وَاجِبِ الآبَاءِ أَنْ يُطْعِمُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَيُكْسُوهُمْ، وَيُوَفِّرُوا لَهُمْ حَاجَاتِهِم الدُّنْيَوِيَّةَ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَأَمْنٍ وَسَكَنٍ،
فَإِنَّ الوَاجِبَ الأَعْظَمَ هُوَ أَنْ يُرَبِّيَ أَبْنَاءَهُ تَرْبِيَةً إِيمَانِيَّةً صَحِيحَةً.

تَقُومُ هَذِهِ التَّرْبِيَةُ عَلَى:

- الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ.
- غَرْسِ العَقِيدَةِ وَالفَضِيلَةِ.
- تَعْلِيمِ الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ.

فَلَوْ أَنَّ الأَبَ وَفَّرَ لِأَبْنَائِهِ كُلَّ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُ أَهْمَلَ أَنْ يُأْمِرَهُمْ بِالصَّلَاةِ،
وَلَمْ يُعَرِّفْهُمْ بِرَبِّهِمْ، وَلَمْ يُرَبِطْ قُلُوبَهُمْ بِالآخِرَةِ،
فَقَدْ ضَيَّعَهُمْ أَعْظَمَ تَضْيِيعٍ،
وَوَقَعَ تَحْتَ وَعِيدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ الأَوْلَادَ أَمَانَةٌ.
فَإِذَا كَانَ الأَبُ سَبَبًا فِي صَلَاحِهِمْ، كَانُوا لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَذُخْرًا فِي الآخِرَةِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
الفرقان: ٧٤.

أَمَّا مَنْ أَهْمَلَهُمْ وَتَرَكَهُمْ لِلْهَوْ وَالضَّيَاعِ، فَسَيَكُونُونَ وَبَالًا عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَوْلَادُهُ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ، فَهُوَ مِنْ أَشْقَى الأَشْقِيَاءِ.

إِنَّ صَلَاحَ الأَبْنَاءِ لا يَكُونُ إِلَّا بِ:

- كَثْرَةِ الدُّعَاءِ.
- حُسْنِ القُدْوَةِ.
- الاسْتِغْفَارِ المتَوَاصِلِ.

فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرِّزْقِ وَالهِدَايَةِ وَالبَرَكَةِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**". *ابن ماجة والنسائي*

فَلْنَكُن هَمُّنَا أَنْ نُرَبِّي أَبْنَاءَنَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ.
وَأَنْ نَغْرِسَ فِيهِمْ حُبَّ القُرْآنِ وَالْعِبَادَةِ.
وَأَنْ نَسْتَكْثِرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ لِأَنْفُسِنَا وَلَهُمْ. لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكْتُبَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي الصَّالِحِينَ.

الخُطْوَةُ التَّالِيَةُ

وَبَعْدَ تَحْوِيطِ الأَبْنَاءِ بِسِيَاجِ العَقِيدَةِ وَالفَضِيلَةِ، تَكُونُ الخُطُوَةُ التَّالِيَةُ فِي حِمَايَتِهِمْ
أَنْ نُنَبِّهَ أَبْنَاءَنا، وَبِخَاصَّةِ الفَتَيَاتِ،
إِلَى خُطُورَةِ نَشْرِ الصُّورِ وَالخُصُوصِيَّاتِ وَالأَسْرَارِ العَائِلِيَّةِ عَلَى صَفَحَاتِ "فِيسْ بُوك"
أَو غَيْرِهَا مِن وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ.
فَذَلِكَ يَفْتَحُ بَابًا وَاسِعًا لِلابْتِزَازِ.
يُفْتَحُ الطَّرِيقُ لِهَتْكِ الأَعْرَاضِ وَخَرَابِ البُيُوتِ.
وَقَدْ رَأَيْنَا بِأَعْيُنِنَا أَنَّ كَثِيرًا مِن هَذِهِ القِصَصِ المؤْلِمَةِ تَنْتَهِي فِي أَرْوِقَةِ المحَاكِمِ وَمَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ.
وَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ النَّدَمُ قَدْ فَاتَ أَوَانُهُ.

وَلَيْسَ الِابْتِزَازُ وَحْدَهُ هُوَ الخَطَرُ.
إِنَّ المشْكِلَةَ أَعْمَقُ مِنْ ذَلِكَ.
فَهِيَ تَكْشِفُ وَاقِعًا مَرِيرًا.
حَالُ النَّاسِ اليَوْمَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ اللَّهَ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الشَّدَائِدِ.
فَإِذَا حَلَّتِ المصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الدُّعَاءِ وَالبُكَاءِ.
أَمَّا فِي الرَّخَاءِ فَهُمْ فِي لَهْوٍ وَضِيَاعٍ وَغَفْلَةٍ.

إِنَّ السُّؤَالَ الجَوْهَرِيَّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُطْرَحَ هُوَ:
ما الحَاجَةُ فِي أَنْ يَحْمِلَ الفِتْيَةُ وَالفَتَيَاتُ أَجْهِزَةً نَقَّالَةً بَاهِظَةً لا يُحْسِنُونَ اسْتِخْدَامَهَا؟
وَمَا الفَائِدَةُ مِن أَيْدٍ صَغِيرَةٍ تَتَعَامَلُ مَع تَقْنِيَاتٍ كَبِيرَةٍ دُونَ رَقِيبٍ وَلا تُوْجِيهٍ؟

إِنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ غَالِبًا كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ أَمَامَ المعَاكِسِينَ وَالمبْتَزِّينَ.
تُوجَدُ هَذِهِ الذِّئَابُ البَشَرِيَّةُ الَّتِي تَتَصَيَّدُهُمْ عَبْرَ هَذِهِ الوَسَائِلِ.
فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ مَأْسَوِيَّةً.

لَفْتَةٌ أَخِيرَةٌ

إن تَعَلُّقَ الأَبْنَاءِ بِـ"فِيسْ بُوك"،
أَو إِدْمَانُهُم عَلَى الأَلْعَابِ الإِلِكْتْرُونِيَّةِ، وَسَاعَاتُهُم الطَّوِيلَةُ أَمَامَ الشَّاشَاتِ دُونَ شَبَعٍ،
يُؤَدِّي إِلَى إِهْمَالِ حَيَاتِهِم الأُسَرِيَّةِ.
وَيُضْعِفُ تَحْصِيلَهُم الدِّرَاسِيَّ.
وَيُؤَثِّرُ عَلَى صِحَّتِهِم النَّفْسِيَّةِ وَالجَسَدِيَّةِ.
فَضْلًا عَنْ عَزْلِهِم عَنِ الوَاقِعِ وَعَن قِيَمِ التَّوَاصُلِ الحَقِيقِيِّ مَعَ الوَالِدَيْنِ وَالأَقَارِبِ.

وَهُنَا نُدْرِكُ قَاعِدَةً مُهِمَّةً:

هَذِهِ التَّقْنِيَةُ لَيْسَتْ خَيْرًا مَحْضًا وَلا شَرًّا مَحْضًا،
وَإِنَّمَا هِيَ سِلَاحٌ ذُو حَدَّيْنِ.
فَـ"حَسَنُهَا حَسَنٌ، وَقَبِيحُهَا قَبِيحٌ."
والمشْكِلَةُ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهَا، بَلْ فِي يَدِ مَنْ يَسْتَخْدِمُهَا.
إِنِ اسْتُعْمِلَت فِي الخَيْرِ كَانَت نِعْمَةً.
وَإِن أُسِيءَ اسْتِخْدَامُهَا صَارَت نَقْمَةً.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُرْشِدَ أَبْنَاءَنَا.
نُرَاقِبُهُمْ بِحُبٍّ.
نُرَبِّيهم عَلَى المسْؤُولِيَّةِ.
نُعَلِّمُهُمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ الحِصْنُ الحَقِيقِيُّ فِي عَالَمٍ مَفْتُوحٍ.
حَتَّى لا يَكُونُوا صَيْدًا سَهْلًا لِلذِّئَابِ الإِلِكْتْرُونِيَّةِ الَّتِي لا تَرْحَمُ.

انتزاعُ الغافِلاتِ

حِينَ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النِّسَاءَ العَفِيفَاتِ المحصَّنَاتِ، وَصَفَهُنَّ بِالغَافِلَاتِ،
لَمْ يَقْصِدِ الجَهْلَ وَلا الغَفْلَةَ عَنْ وَعْيٍ، بَلْ بَرَاءَةً وَصَفَاءً وَنَقَاءً.
هُنَّ غَافِلَاتٌ عَنِ الفَاحِشَةِ، لا يَخْطُرُ بِبَالِهِنَّ الخُبْثُ، وَلا يَعْرِفْنَ دُرُوبَ الرَّذِيلَةِ.
قُلُوبٌ طَاهِرَةٌ لَمْ يُلَطِّخْهَا الإِثْمُ، وَأَنْفُسٌ زَكِيَّةٌ لا تَعْرِفُ سِوَى الطُّهْرِ وَالْحَيَاءِ.

لَكِن... أُنْظُرُوا إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.
كَيْفَ تَكَالَبَتْ وَسَائِلُ الإِعْلَامِ الْمَاجِنَةِ،
وَتَعَاوَنَتِ الْفَضَائِيَّاتُ الْهَابِطَةُ
وَالْمَوَاقِعُ الْمُشْبُوهَةُ
عَلَى اقْتِحَامِ تِلْكَ الْحُصُونِ، وَتَمْزِيقِ حِجَابِ العِفَّةِ،
وَمُحَاوَلَةِ انتِزَاعِ هَذِهِ الغَافِلَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ.

وَيَعمَلُ بَعضُ المجرِمينَ فِي العالَمِ الافتراضِيّ عَلَى انتِزاعِ الغافِلاتِ عَن وَعيِهِنَّ، بِوَعدٍ كاذِبٍ أَو مَعلُوماتٍ مُضلّلَةٍ، لِلوُقُوعِ فِي شِباكِ الخِداعِ الإِلكترُونِيّ.

كُلَّ يَوْمٍ نَسْمَعُ عَنْ فَضِيحَةٍ تَهْتِكُ سِتْرًا، أَو صَدْمَةٍ تُزَلْزِلُ بَيْتًا، أَو صُورَةٍ تُفْسِدُ فِطْرَةً،
حَتَّى غَدَا الصَّغِيرُ قَبْلَ الكَبِيرِ عَرْضَةً لِتَيَّارٍ عَارِمٍ لا يَرْحَمُ.

فَيَا أَيُّهَا الغَيُورُونَ،
إِنَّ التَمَسُّكَ بِكِتَابِ اللّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ هُوَ الْحِصْنُ الْبَاقِي.
وَالتَّرْبِيَةُ عَلَى الحَيَاءِ وَالعِفَّةِ هِيَ المَلَاذُ الأَخِيرُ.

فَلْنَصُنَّ بُيُوتَنَا.
وَلْنُحْفَظْ أَبْنَاءَنَا.
وَلْنَبْقَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ:
غَافِلِينَ عَنِ الرَّذِيلَةِ، حَاضِرِينَ فِي مَيَادِينِ الْخَيْرِ، مَحْفُوظِينَ بِحِصْنِ الإِيمَانِ.

مَفاتِيحُ الشَّرِّ

مِفْتَاحُ شَرٍّ اسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ

كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ،
سَقَطَتْ مَكَانَتُهُ فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ حِقْدًا، وَأَظْهَرَ النِّفَاقَ.

فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ قَالَ مُتَطَاوِلًا:

﴿**لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾ *الْمُنَافِقُونَ: ٨*

يَقْصِدُ نَفْسَهُ بِالْأَعَزِّ، وَرَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْأَذَلِّ!

سَاهَمَ فِي إِشَاعَةِ الْإِفْكِ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَرَجَعَ بِثُلُثِ الْجَيْشِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ فَسَبَّبَ خَلَلًا وَضَعْفًا.

فَكَانَ نَمُوذَجًا صَارِخًا لِمِفْتَاحِ الشَّرِّ وَمُغْلَاقِ الْخَيْرِ. *كتب السيرة*

الْوَاقِعُ الْمُعَاصِرُ لِمَفَاتِيحِ الشَّرِّ

فِي عَصْرِ الْإِعْلَامِ الرَّقْمِيِّ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، ظَهَرَ أَشْخَاصٌ شَابَهُوا ابْنَ أُبَيٍّ فِي بَثِّ الْفِتَنِ،
غَيْرَ أَنَّ أَدَوَاتِهِمْ صَارَتْ أَسْرَعَ وَأَوْسَعَ انْتِشَارًا.

مَنْ يَفْتَحُ مَوْضُوعًا كَاذِبًا أَوْ مُثِيرًا لِلنَّعَرَاتِ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ،
هُوَ نُسْخَةٌ مُعَاصِرَةٌ مِنْ مَفَاتِيحِ الشَّرِّ؛ يَنْشُرُ الْأَكَاذِيبَ، يَزْرَعُ الشَّكَّ، وَيُؤَجِّجُ الْأَحْقَادَ.
إِنَّهُمْ يَفْتَحُونَ أَبْوَابَ الْفِتْنَةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا، بِلَا وَعْيٍ وَلَا وَرَعٍ،
كَمَنْ يُشْعِلُ نَارًا فِي هَشِيمِ الْمُجْتَمَعِ.

مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ فِي الْمُقَابِلِ

قَالَ ﷺ:

"إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ". *رواه ابن ماجه*

فَهِيَ إِمَّا إِلَى **طُوبَى**، وَإِمَّا إِلَى **وَيْلٍ**.

أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ:

أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ **مُحَمَّدٌ** ﷺ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ،
جَاءَهُ **شَابٌّ يَافِعٌ**، يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ **رَغْبَةً مُحَرَّمَةً**،
وَانْدَفَعَ بِهَا **بِجُرْأَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ**، وَقَالَ أَمَامَ الجَمِيعِ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَزْنِي"!

صُدِمَ الصَّحَابَةُ! وَتَعَالَت أَصْوَاتُهُمْ:

"مَهْ! مَهْ – "!أَيْ: اُسْكُتْ، كَيْفَ تَقُولُ هَذَا لِلنَّبِيِّ؟!

وَلَكِنَّ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ، المرَبِّي الرَّحِيمَ،**لَمْ يَصْرُخْ**، وَلَمْ يُهِنْ، وَلَمْ يَطْرُدْهُ...
بَلِ الْتَفَتَ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ، وَقَالَ: "اقْتَرِبْ مِنِّي".

فَجَلَسَ الشَّابُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِعَيْنِ الأَبِ المشْفِقِ،
وَقَالَ لَهُ: **"أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟"**
قَالَ الشَّابُّ بِسُرْعَةٍ: **"لَا وَاللهِ، جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاءَكَ"!**
قَالَ ﷺ: **"وَلَا النَّاسُ يَرْضَوْنَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ".**
ثُمَّ تَابَعَ ﷺ: **"أَتَرْضَاهُ لِابْنَتِكَ؟" "أَتَرْضَاهُ لِأُخْتِكَ؟" "أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟ لِخَالَتِكَ؟"**

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ، كَانَ الشَّابُّ يُجِيبُ بِحَرَارَةٍ: **"لَا وَاللهِ، جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاءَكَ"!**
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خِتَامِ هذَا الحِوَارِ التَّرْبَوِيِّ المؤَثِّرِ:
وَكَذَلِكَ النَّاسُ... لَا يَرْضَوْنَهُ لِأَهْلِيهِمْ". *الطبراني*

وَالْيَوْمَ...
فِي زَمَنِ الْهَوَاتِفِ الذَّكِيَّةِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، لَمْ تَعُدِ الْفِتْنَةُ مَحْصُورَةً فِي فِعْلٍ مُبَاشِرٍ،
بَلْ صَارَتْ تَصِلُنَا عَبْرَ صُورَةٍ أَوْ مَقْطَعٍ أَوْ إِشَاعَةٍ تَنْتَشِرُ فِي ثَوَانٍ.

كَمْ مِنْ شَخْصٍ صُوِّرَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فِي حَفْلَةٍ أَوْ مَكَانٍ عَامٍّ،
ثُمَّ تَدَاوَلَتْ صُورَتَهُ الأَلْسُنُ وَالصَّفَحَاتُ بِلَا رَقِيبٍ وَلَا وَازِعٍ مِنْ دِينٍ أَوْ خُلُقٍ!
وَكَأَنَّ أَعْرَاضَ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَادَّةً لِلضَّحِكِ، وَكَرَامَاتُهُمْ أَوْرَاقًا تُسْتَهْلَكُ فِي لَحْظَةِ عَبَثٍ.

لَكِنَّ الْفَارِقَ أَنَّ الْخَطَأَ فِي الْمَاضِي قَدْ يَبْقَى مَحْدُودًا بَيْنَ أَشْخَاصٍ،
أَمَّا الْيَوْمَ فَالْمَقْطَعُ أَوِ الصُّورَةُ تَنْتَشِرُ فِي ثَوَانٍ وَتَبْقَى مَحْفُوظَةً فِي ذَاكِرَةِ الإِنْتَرْنِتِ،
لَا تَزُولُ بِسُهُولَةٍ،
فَتَتَحَوَّلُ الزَّلَّةُ الصَّغِيرَةُ إِلَى فَضِيحَةٍ عَالَمِيَّةٍ وَأَوْزَارٍ جَارِيَةٍ.

فَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِذَلِكَ الشَّابِّ يَوْمًا: "أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟"
نَقُولُ الْيَوْمَ لِمُسْتَخْدِمِي الشَّبَكَاتِ:
هَلْ تَرْضَى أَنْ تُلْتَقَطَ صُورَةٌ لِأُمِّكَ أَوْ أُخْتِكَ أَوِ ابْنَتِكَ
ثُمَّ تَنْتَشِرَ بَيْنَ النَّاسِ بِلَا حَيَاءٍ وَلَا إِذْنٍ؟
فَإِنْ لَمْ تَرْضَهُ لِأَهْلِكَ، فَلَا تَرْضَهُ لِغَيْرِكَ.

إِنَّ زِرَّ "إِعَادَةِ الإِرْسَالِ" وَ"الْمُشَارَكَةِ" قَدْ يَكُونُ فِي مِيزَانِ الْآخِرَةِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السِّتْرِ،
أَوْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْفَضِيحَةِ وَالْوِزْرِ.
فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ فَضَحَهُ اللهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ١٩

لَا تَنْشُرْ، لَا تُبَرِّرْ، لَا تُعَلِّقْ... بَلْ أَوْقِفِ الْفِتْنَةَ عِنْدَكَ.

اللَّعْنُ وَالطَّعْنُ وَالْفَحْشُ وَالْبَذَاءَةُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ.**" أحمد والترمذي

الطَّعَّانُ هُوَ الَّذِي يُكْثِرُ عَيْبَ النَّاسِ وَالِانْتِقَاصَ مِنْهُمْ.

والْفحْشُ وَالْبَذَاءَةُ هُوَ التَّعْبِيرُ عَنْ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَحَةِ بِالْعِبَارَاتِ الصَّرِيحَةِ.

عِنْدَمَا عَبَّرَ سُبْحَانَهُ عَنْ الْإِخْرَاجِ وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ، قَالَ" :**كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**"،
أي أن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَأُمَّهُ لَا يَصْلَحَانِ أَنْ يَكُونَا آلِهَةً
لِأَنَّهُم مِثْلُكُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ،
وَمَنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِخْرَاجِ وَالذَّهَابِ قَضَاءَ الْحَاجَةِ.
وَلَمْ يُذْكَرْ ذَلِكَ صَرِيحَةً، وَالْأَمْثِلَةُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ.

واللَّعْنُ هُوَ الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عز وجل،
وَلَعْنُ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ أَمْرٌ خَطِيرٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :**لَعَنَ الْمُؤْمِنُ كَقَتْلِهِ**". البخاري ومسلم

وَاللَّعْنُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَنْ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ مُسْتَحِقًّا لَهَا، فَعَادَ عَلَى مَنْ أَطْلَقَهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ وَإِلَّا رَجَعَتْ لِقَائِلِهَا.**" البيهقي وأبو داود

وَقَدْ تَسَاهَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي اللَّعْنِ، وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ" :**لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا.**" مسلم
وَقَالَ ﷺ : "**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**" مسلم

فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ يَكُونَ حُضُورُكَ الرَّقْمِيُّ سَبَبًا لِلْخَيْرِ وَالْهُدُوءِ، لَا لِلْفِتْنَةِ وَالضَّرَرِ.

التَّنَمُّرُ: السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ

قَالَ تَعَالَى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ
وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" *الحُجُرات: ١١*

بِهَذَا التَّوْجِيهِ الْقُرْآنِيّ، يَنْهَى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ثَلَاثِ مَسَاوِئَ خُلُقِيَّةٍ
تُعْرَفُ حَدِيثًا بِـ"**التَّنَمُّرِ**"،
وَهِيَ: **السُّخْرِيَةُ واللَّمْزُ والنَّبْزُ.**

السُّخْرِيَةُ: هي الِاسْتِهْزَاءُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ التَّنْقِيصُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى احْتِقَارِ الآخَرِينَ.
واللَّمْزُ: هو الطَّعْنُ فِي الآخَرِينَ وَذِكْرُ عُيُوبِهِمْ أَوِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا، لِتَقْلِيلِ شَأْنِهِمْ دُونَ سَبَبٍ.
أمّا النَّبْزُ: فهو مُنَادَاةُ الإِنْسَانِ بِأَلْقَابٍ يَكْرَهُهَا، أَوْ تُشْعِرُهُ بِالتَّحْقِيرِ وَالسُّخْرِيَةِ.
هَذِهِ الْأَفْعَالُ تَقْطَعُ الرَّوَابِطَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ، وتُبَذِّرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَتُوَلِّدُ الرَغْبَةَ فِي الِانْتِقَامِ.

وَسَوَاءٌ كَانَتِ السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالنَّبْزُ بَيْنَ الأَفْرَادِ أَوْ بَيْنَ الأَقْوَامِ وَالجَمَاعَاتِ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ يَجِبُ الإِقْلَاعُ عَنْهُ،
لِأَنَّ مَنْ لَمَزَ أَخَاهُ فَكَأَنَّمَا لَمَزَ نَفْسَهُ،
لِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"
أَيْ :مَنْ يَعِيبُ غَيْرَهُ، فَكَأَنَّهُ يَعِيبُ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّدِّ بِالمِثْلِ. *كتب التفسير*

إِنَّ مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ سُخْرِيَةٍ وَلَمْزٍ وَتَنَابُزٍ بِالْأَلْقَابِ فِي مَجَالِسَ مَحْدُودَةٍ،
أَصْبَحَ الْيَوْمَ فِي زَمَنِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ يَتَضَخَّمُ وَيَنْتَشِرُ فِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ،
لِيَصِلَ إِلَى مَلَايِينِ النَّاسِ!

فَالْكَلِمَةُ الَّتِي تُكْتَبُ فِي تَعْلِيقٍ سَاخِرٍ،
أَوْ صُورَةٌ تُنْشَرُ بِهَدَفِ الِاسْتِهْزَاءِ،
أَوْ لَقَبٌ يُرْمَى بِهِ إِنْسَانٌ بَرِيءٌ،
قَدْ تَدْمِرُ نَفْسًا، أَوْ تَزْرَعُ الْكَرَاهِيَةَ، أَوْ تُؤَدِّي إِلَى الْقَطِيعَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ مَسْؤُولٌ عَنْ كُلِّ مَا يَكْتُبُهُ وَيَنْشُرُهُ،
فَقَدْ قَالَ ﷺ:
"وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَالْيَوْمَ، لِسَانُنَا لَمْ يَعُدْ فَقَطْ مَا نَتَكَلَّمُ بِهِ،
بَلْ أَصْبَحَ قَلَمَ الْكِتَابَةِ فِي هَوَاتِفِنَا،
وَتَعْلِيقَاتِنَا، وَصُوَرَنَا، وَمَقَاطِعِ الْفِيدْيُو الَّتِي نُشَارِكُهَا.

فَكَمَا يُكْتَبُ الْأَجْرُ لِمَنْ نَشَرَ كَلِمَةَ خَيْرٍ أَوْ نَصِيحَةً صَادِقَةً،
يُكْتَبُ الْوِزْرُ عَلَى مَنْ تَنَمَّرَ، أَوْ سَخِرَ، أَوْ لَمَزَ، أَوْ أَعَانَ عَلَى نَشْرِ الْبَاطِلِ.

وقد توعد الله توعدا شديد لِكُلِّ مَن يَجْعَلُ هَمَّهُ العُيُوبَ وَالنَّقْدَ وَالسُّخْرِيَةَ مِنَ النَّاسِ، سَوَاءٌ قَوْلًا أَو فِعْلًا أَو سُلُوكًا.

يَقُولُ تَعَالَى: **"وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ"**. الهُمَزَة: ١

وَحَاصِلُ الأَقْوَالِ فِي مَعْنَاهَا يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الطَّعْنُ وَإِظْهَارُ العَيْبِ،
وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ يُقَلِّدُ النَّاسَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ لِيَضْحَكُوا مِنْهُ.
أَيْ: عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَخِزْيٌ عَظِيمٌ، لِكُلِّ مَنْ يَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ،
وَيَغُضُّ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَيُحَقِّرُ أَعْمَالَهُمْ وَصِفَاتِهِمْ، وَيَنْسِبُ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ بُرَآءُ مِنْهُ مِنْ عُيُوبٍ.

وَفِي عصرِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، أَصْبَحَ مَا حَذَّرَتْ مِنْهُ الآيَةُ أَكْثَرَ وُضُوحًا:

- صُوَرٌ مُسَرَّبَةٌ وَمَقَاطِعُ قَدْ تَكُونُ مُفَبْرَكَةً تَنْتَشِرُ بِسُرْعَةٍ، فَتَطْعَنُ فِي سُمْعَةِ النَّاسِ.

- **المِيمزُ السَّاخِرَةُ** الَّتِي تُحَوِّلُ عُيُوبًا أَو مَظَاهِرَ بَشَرِيَّةً طَبِيعِيَّةً إِلَى مَادَّةٍ لِلسُّخْرِيَةِ وَالتَّنَمُّرِ.
- التَّقْلِيدُ الصَّوْتِيُّ أَو الحَرَكِيُّ عَلَى مَقَاطِعِ "التيك توك" أَو "الريلز"، الَّذِي يَسْتَهْدِفُ أَشْخَاصًا مَعْرُوفِينَ لِلتَّنَدُّرِ وَإِثَارَةِ الضَّحِكِ.
- التَّعْلِيقَاتُ المسِيئَةُ الَّتِي تَنْتَقِصُ مِنَ الأَشْخَاصِ فِي صُوَرِهِمْ أَو مَقَاطِعِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ.

كُلُّ هَذَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى "الهُمَزَةِ وَاللُّمَزَةِ"، وَقَدْ حَمَلَ القُرْآنُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الوَعِيدِ.
فالْكَلِمَةُ أَمَانَةٌ سَوَاءً كَانَتْ مَنْطُوقَةً أَوْ مَكْتُوبَةً.
والتَّنَمُّرُ الإِلِكْتِرُونِيُّ صُورَةٌ حَدِيثَةٌ مِنْ صُوَرِ السُّخْرِيَةِ وَاللَّمْزِ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
وَوَاجِبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مُغْلَاقًا لِلشَّرِّ، فِي وَاقِعِهِ، وَعَلَى صَفَحَاتِهِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ.

الفَصْلُ الثاني: التِّقْنِيَّاتِ الحَدِيثَةَ

واقِعٌ مَفروضٌ

جَوانِبُ مُضِيئَةٌ

إِنَّ هَذِهِ التِّقْنِيَّاتِ الحَدِيثَةَ:
مِن فَضَائِيَّاتٍ وَإِنْتَرْنِتٍ وَمَوَاقِعِ تَوَاصُلٍ اجْتِمَاعِيٍّ كَ"فِيسْبُوك" وَ"وَاتْس أَب" وَغَيْرِهَا،
قَدْ أَصْبَحَتْ وَاقِعًا لَا مَفَرَّ مِنْهُ.
فَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى حَيَاتِنَا فَرْضًا، حَتَّى غَدَتْ جُزْءًا مِنْ تَفَاصِيلِ يَوْمِنَا.
أَصْبَحَتْ شَرِيكًا دَائِمًا فِي أَعْمَالِنَا وَعَلَاقَاتِنَا.

وَلَئِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الخَيْرِ الكَثِيرِ،
فَلَا يُنْكَرُ أَنَّهَا قَرَّبَتِ البَعِيدَ.
وَيَسَّرَتْ سُبُلَ التَّعَلُّمِ،
فَصَارَ طَالِبُ العِلْمِ يَصِلُ إِلَى آلَافِ الكُتُبِ وَالمَرَاجِعِ بِضَغْطَةِ زِرٍّ.
وَيَسْتَمِعُ إِلَى الدُّرُوسِ وَالمحَاضَرَاتِ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاهَا وَهُوَ فِي بَيْتِهِ.
وَيَتَوَاصَلُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ بِسُهُولَةٍ.
وَلَقَدْ حَمَلَتْ هَذِهِ الوَسَائِلُ فُرَصًا لِلدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّثْقِيفِ مَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالٍ.

جَوانِبُ مُظْلِمَةٌ

غَيْرَ أَنَّ الصُّورَةَ الأُخْرَى تُكْشِفُ عَنْ جَانِبٍ مُظْلِمٍ خَطِيرٍ.
إِذْ إِنَّ الكَثْرَةَ الغَالِبَةَ مِنَ المسْتَخْدِمِينَ لَمْ تُحْسِنْ تَوْظِيفَ هَذِهِ النِّعَمِ فِي الخَيْرِ.
بَلِ اتَّخَذُوهَا مَطِيَّةً إِلَى كُلِّ سُوءٍ.
فَكَانَتْ مَنَابِرَ لِلَّهْوِ وَالفَسَادِ.
وَمَدَاخِلَ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.
وَأَبْوَابًا وَاسِعَةً لِلتَّسَلِيَةِ المفْرِطَةِ وَتَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ.

وَلَوْ قَصَدَ الخَيْرَ أَحَدٌ، لَمْ يَسْلَمْ مِنْ شُرُورِهَا.
لِأَنَّهُ يَعِيشُ فِي فَضَاءٍ مَفْتُوحٍ تُحِيطُهُ المتَناقِضَاتُ.
عِلْمٌ رَصِينٌ إِلَى جَانِبِ لَهْوٍ فَاجِرٍ.
دَعْوَةٌ صَادِقَةٌ بِجَوَارِ شُبْهَةٍ مُضِلَّةٍ.
فَائِدَةٌ نَافِعَةٌ إِلَى جَانِبِ لَهْوٍ مُفْسِدٍ وَجَهَالَةٍ عَرِيضَةٍ.

وَهَكَذَا تَبْقَى هَذِهِ الوَسَائِلُ امْتِحَانًا لِلْإِنْسَانِ.
هَلْ يَجْعَلُهَا طَرِيقًا إِلَى الخَيْرِ وَسُلَّمًا إِلَى العِلْمِ؟
أَمْ يَجْعَلُهَا مَيْدَانًا لِلشَّهْوَةِ وَالغَفْلَةِ؟
إِنَّهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي طَاعَةِ اللهِ.
وَإِنَّهَا نِقْمَةٌ مُبِيرَةٌ إِذَا أُهْمِلَتْ حُدُودُهَا وَأُطْلِقَتْ بِلَا ضَوَابِطَ.

قال تعالى:
﴿وَلا تُلقُوا بِأيديكم إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥
إِنَّ الِانْغِمَاسَ الْمُفْرِطَ فِي الْأَجْهِزَةِ الرَّقْمِيَّةِ، أَوِ الِادْمَانَ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ،
أَوِ مُتَابَعَةَ الْمُحْتَوَى الضَّارِّ، هُوَ بِمَثَابَةِ إِلْقَاءِ النَّفْسِ فِي التَّهْلُكَةِ.
فَالْفِتَنُ الرَّقْمِيَّةُ تَسْتَهْلِكُ الْوَقْتَ، وَتُضَعِّفُ الْإِرَادَةَ، وَتُبْعِدُنَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَوَاجِبَاتِنَا،
فَتَتَحَوَّلُ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ مِنْ أَدَاةِ نَفْعٍ إِلَى فَخٍّ يَهْدِدُ سَلَامَتَنَا النَّفْسِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ.
لِذَا وَجَبَ الْحَذَرُ وَالْوَعْيُ فِي اسْتِخْدَامِ التِّكْنُولُوجِيَا،
وَاتِّبَاعُ الِاعْتِدَالِ فِي كُلِّ مَا يُنْفِعُنَا وَلَا يُضِرُّنَا.

الهاتِفُ المَحمولُ

إنَّ نِعْمَةَ الجَوَّالِ أَوِ الهَاتِفِ المحمُولِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ
الَّتِي فَضَّلَ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا فِي هَذَا العَصْرِ.
فَقَدِ اخْتَصَرَ المسَافَاتِ، وَقَرَّبَ البَعِيدَ،
وَيَسَّرَ الوُصُولَ إِلَى العِلْمِ وَالمعْلُومَةِ فِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ.

وَأَصْبَحَ وَسِيلَةً نَافِعَةً فِي:

- الدَّعْوَةِ
- التَّذْكِيرِ
- التَّوَاصُلِ
- صِلَةِ الأَرْحَامِ

وَهَذِهِ النِّعْمَةُ، كَغَيْرِهَا مِنْ نِعَمِ اللهِ، شُكْرُهَا يَكُونُ بِحُسْنِ اسْتِعْمَالِهَا فِيمَا يَرْضِي اللهَ، وَبَذْلِهَا فِي الطَّاعَاتِ وَالمصَالِحِ النَّافِعَةِ، وَتَوْظِيفِهَا فِي العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ وَالخَيْرِ.

لَكِنْ، حِينَ تُسْتَعْمَلُ فِي مَا يُغْضِبُ اللهَ، مِنْ:

- المرَاسَلَاتِ المحَرَّمَةِ
- المعَاكَسَاتِ الهَاتِفِيَّةِ
- تَبَادُلِ المقَاطِعِ الخَلِيعَةِ
- نَشْرِ الأَصْوَاتِ الماجِنَةِ وَالرَّسَائِلِ المضِلَّةِ

فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، وَمِنَ التَّعَدِّي الَّذِي يَجْلِبُ غَضَبَ اللهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾

الأحزاب: ٥٨

وَقَدْ يَجَاوِزُ الأَمْرُ أَحْيَانًا إِلَى أَذِيَةِ المصَلِّينَ فِي المسَاجِدِ،
وَإِفْسَادِ خُشُوعِهِم بِالرَّنَّاتِ الغِنَائِيَّةِ وَالأَصْوَاتِ الصَّاخِبَةِ
الَّتِي تَنْطَلِقُ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ، فِي بُيُوتِ اللهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِتَعْظِيمِهَا وَتَطْهِيرِهَا.

فَأَيُّ اسْتِخْفَافٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ *الحج: ٣٢*

عِبَادَ اللهِ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا،
وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ:

- يَلْتَزِمَ أَوَامِرَ اللهِ وَيَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ.
- يُعَظِّمَ حَرَامَاتِه وَشَعَائِرَهُ.
- يَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ الخَلْقِ.

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" **وَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا فَقَدْ آذَانِي**". *رواه الطبراني*

وَقَالَ أَيْضًا:
"**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**". *متفق عليه*

لْنَحْذَرْ مِنْ تَحْوِيلِ هَذِهِ النِّعْمَةِ إِلَى نَقْمَةٍ،
وَلِنُحْسِنْ شُكْرَهَا بِاسْتِعْمَالِهَا فِيمَا يَرْضِي اللهَ،
حَتَّى تَكُونَ لَنَا عَوْنًا عَلَى الطَّاعَةِ، لَا سَبِيلًا إِلَى المعْصِيَةِ.

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَمْتَحِنُنَا بِهَذِهِ الوَسَائِلِ:
أَهِيَ شَاهِدٌ لَنَا أَمْ شَاهِدٌ عَلَيْنَا؟
فَلْنَخْتَرْ أَنْ تَكُونَ شَاهِدًا لَنَا يَوْمَ نَلْقَى اللهَ.

تِقْنِيَّةُ الذَّكَاءِ الاِصْطِنَاعِيّ

وَهذِهِ التِّقْنِيَّةُ تُمَكِّنُ مِن تَقْلِيدِ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَصُنْعِ فِيدْيُوهاتٍ مُزَيَّفَةٍ تَبْدُو حَقِيقِيَّةً.
تُسْتَخدَمُ هذِهِ التِّقْنِيَّةُ فِي مَجالاتٍ عَديدةٍ مِثلَ:
الإِعْلامِ، التَّرْفِيهِ، وَالأَبْحاثِ،
لَكِنَّهَا قَدْ تُسْتَخدَمُ أَيْضًا لِأَغْرَاضٍ خادِعَةٍ أَوْ مُضِلِّلَةٍ،
مِمَّا يَسْتَلزِمُ وَعْيًا وَحَذَرًا عِندَ التَّعامُلِ مَعَها.

وَقَد أَصْبَحَتْ مِنْ أَبْرَزِ التَّطَوُّرَاتِ الحَدِيثَةِ، وَلَهَا اسْتِخْدَامَاتٌ إِيجَابِيَّةٌ وَأُخْرَى سَلْبِيَّةٌ:

الاِسْتِخْدَامَاتُ الإِيجَابِيَّةُ:

فِي الإِبْدَاعِ الفَنِّيِّ كَالتَّرْفِيهِ أَوِ التَّعْلِيمِ أَوْ حِفْظِ التُّرَاثِ الصَّوْتِيِّ.

الاِسْتِغْلَالُ السَّلْبِيُّ:

- نَشْرُ الشَّائِعَاتِ وَالمَعْلُومَاتِ الْمُضَلِّلَةِ.
- تَشْوِيهُ سُمْعَةِ الأَشْخَاصِ بِتَرْكِيبِ أَصْوَاتٍ أَوْ فِيدْيُوهَاتٍ لَمْ يَقُولُوهَا وَلَمْ يَفْعَلُوهَا.
- الاِحْتِيَالُ المَالِيُّ بِانْتِحَالِ الأَصْوَاتِ فِي المُكَالَمَاتِ.

النَّظَرُ الشَّرْعِيُّ

رَأْيُ العُلَمَاءِ وَالفُقَهَاءِ الْمُعَاصِرِينَ يَتَوَقَّفُ عَلَى القَصْدِ وَالاِسْتِخْدَامِ:

١. الاِسْتِخْدَامُ الْمُبَاحُ:

إِذَا كَانَ فِي مَجَالَاتٍ مُبَاحَةٍ مِثْلَ التَّعْلِيمِ، التَّرْفِيهِ الْبَرِيءِ،
أَوْ الحِفَاظِ عَلَى تُرَاثٍ صَوْتِيٍّ أَوْ تَارِيخِيٍّ.
بِشَرْطِ عَدَمِ الغِشِّ أَوِ الإِيهَامِ بِأَنَّهَا أَصْوَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ دُونَ إِذْنِهِ.

٢. الاِسْتِخْدَامُ الْمُحَرَّمُ:

إِذَا اسْتُعْمِلَ فِي الخِدَاعِ وَالتَّزْوِيرِ
(كَتَقْلِيدِ شَخْصٍ حَيٍّ دُونَ إِذْنِهِ لِإِيقَاعِهِ فِي ضَرَرٍ).
أو إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ انْتِهَاكُ الخُصُوصِيَّةِ
أَوْ تَشْوِيهُ السُّمْعَةِ
أَوْ نَشْرُ الفِتَنِ وَالشَّائِعَاتِ.

وَيَدْخُلُ ذَلِكَ فِي أَبْوَابِ :
الكَذِبِ، الغِشّ، البُهْتَانِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،
وَكُلُّهَا مُحَرَّمَةٌ شَرْعًا.

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ :"**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا**" رَوَاهُ مُسْلِم.
وَكَذَلِكَ تَشْوِيهُ سُمْعَةِ النَّاسِ أَوْ نَشْرُ مَا لَمْ يَقُولُوهُ يَدْخُلُ فِي الغِيبَةِ وَالبُهْتَانِ.

قالَ تعالى:
﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ الحجرات: ١٢

الخُلاصَةُ

- الأَصْلُ فِي التِّقْنِيَةِ :**الإِبَاحَةُ** إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي النَّافِعِ وَالْمُبَاحِ.
- وَ**التَّحْرِيمُ القَطْعِيُّ** إِذَا اسْتُغِلَّتْ فِي التَّضْلِيلِ، الكَذِبِ، تَشْوِيهِ السُّمْعَةِ، أَوِ الإِضْرَارِ بِالآخَرِينَ.

قصَصٌ وَاقِعِيَّةٌ مِنْ عَالَمِ التَّزْيِيفِ الْعَمِيقِ

- جَلَسَتْ أُمٌّ فِي بَيْتِهَا تَتَلَقَّى مُكَالَمَةً طَارِئَةً.
تَسْمَعُ صَوْتَ ابْنَتِهَا يَصْرُخُ مُسْتَغِيثًا: "سَاعِدِينِي لَقَدْ حَدَثَ حَادِثٌ."!
ارْتَجَفَ قَلْبُهَا وَدَفَعَتِ الْمَالَ عَلَى عَجَلٍ.
ثُمَّ اكْتَشَفَتْ لَاحِقًا أَنَّ الصَّوْتَ لَمْ يَكُنْ لابْنَتِهَا... بَلْ لِآلَةٍ مُبَرْمَجَةٍ بِخِدَاعٍ ذَكِيٍّ.

- فِي إِحْدَى الشَّرِكَاتِ، تَلَقَّى الْمُوَظَّفُونَ مُكَالَمَةً مِنْ رَئِيسِهِمُ الْمُبَاشِرِ.
صَوْتُهُ وَاضِحٌ وَنَبْرَتُهُ مَأْلُوفَةٌ يَطْلُبُ تَحْوِيلَ مَبْلَغٍ عَاجِلٍ.
لَمْ يَتَرَدَّدُوا فِي التَّنْفِيذِ.
لَكِنَّهُمْ اكْتَشَفُوا أَنَّ الرَّئِيسَ لَمْ يَتَحَدَّثْ مَعَهُمْ قَطُّ.
وَأَنَّ صَوْتَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا نُسْخَةً مُزَيَّفَةً مُتْقَنَةً.
- مُوَظَّفٌ آخَرُ حَضَرَ اجْتِمَاعًا عَبْرَ شَاشَةِ الْفِيدْيُو.
يَرَى زُمَلَاءَهُ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَوْضُوعٍ مَالِيّ خَطِيرٍ.
بَدَا الْمَشْهَدُ طَبِيعِيًّا تَمَامًا.
حَتَّى أَنَّهُ حَوَّلَ مَبْلَغًا ضَخْمًا تَنْفِيذًا لِلْأَوَامِرِ.
لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ كَانَتْ أَنَّ الاجْتِمَاعَ كُلَّهُ لَمْ يَكُنْ سِوَى خُدْعَةٍ عَمِيقَةِ الصُّنْعِ.

– تَقَارِيرُ أَمْنِيَّةٍ حَدِيثَةٍ كَشَفَتْ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْخِدَعِ لَمْ تَعُدْ حَالَاتٍ فَرْدِيَّةٍ.
فَفِي غُضُونِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فَقَطْ، تَسَبَّبَتْ تَسْجِيلَاتٌ صَوْتِيَّةٌ وَمَرْئِيَّةٌ مُزَيَّفَةٌ بِخَسَائِرَ بِمِئَاتِ الْمَلَايِينِ مِنَ الدُّولَارَاتِ حَوْلَ الْعَالَمِ.

– فِي حَادِثَةٍ خَطِيرَةٍ، صُمِّمَ مُقَطَّعٌ صَوْتِيٌّ يُظْهِرُ شَخْصِيَّةً تَرْبَوِيَّةً مُهِمَّةً.
كَأَنَّهَا تَتَحَدَّثُ بِكَلِمَاتٍ جَارِحَةٍ وَمُسِيئَة.
انْتَشَرَ الْمُقَطَّعُ كَالنَّارِ فِي الْهَشِيمِ.
وَأَثَارَ غَضَبًا وَتَهْدِيدَاتٍ.
قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَلْفَقٌ بِالْكُلِّيَّةِ.

- حَتَّى السِّيَاسَةُ لَمْ تَسْلَمْ.

إِذْ وَصَلَ إِلَى مَكَاتِبِ دِبْلُومَاسِيِّينَ تَسْجِيلٌ يُنْسَبُ لِمَسْؤُولٍ بَارِزٍ.

صَوْتُهُ مَأْلُوفٌ وَكَلِمَاتُهُ تَبْدُو حَقِيقِيَّةً.

لَكِنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا يَوْمًا.

كَانَتْ مُجَرَّدَ لُعْبَةٍ مِنْ أَلْعَابِ الذَّكَاءِ الاصْطِنَاعِيِّ.

- فَلْتَكُنْ أَدَوَاتُنَا مُرْشِدَةً نَحْوَ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَنِبْرَاسًا فِي صِدْقِ التَّعَامُلِ .
  لَا بَارِعَةً فِي خِدَاعِ الْقُلُوبِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: "**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**". غافر:١٩

العالَمُ الموازِي

العالَمُ الموازي أو العالَمُ الافتِراضيّ هو بيئةٌ رَقميةٌ غيرُ ماديةٍ،
يَصنَعُها الإنسانُ عبرَ الإنترنتِ بهدفِ إيهامِ المستخدِمِ بالتواجُدِ في زمنٍ غيرِ زمنِه.
وفي مكانٍ غيرِ مكانِه.
يَعيشُ فيها الناسُ تجارِبَ تُشبِهُ الواقِعَ.
بل أحيانًا تُغني عنه.
وحينَ يَعيشُ الإنسانُ هذهِ التجربةَ كامتِدادٍ لما في داخِلِه،
وكمِساحةٍ مُشترَكةٍ بينَهُ وبينَ الآخرينَ.
يُفتَحُ البابُ أمامَ جميعِ أشكالِ الفانتازيا والخَيالِ والوَهمِ.
إضافةً إلى التفاعُلاتِ الانتقاليةِ، التي تَمنَحُهُ فُرصَةً للتَّنفيسِ عن
الإحباطاتِ والتوتُّراتِ والرَّغَباتِ،
وتحقيقِ الأحلامِ داخلَ هذا العالَمِ الموازي (عالَمِ الخيالِ).
يُعبِّرونَ من خلالِه عن اهتماماتِهم ومشاعرِهم.
وكأنَّ ما يحدُثُ هو حالةُ اندماجٍ بينَ هذا العالَمِ الافتِراضيّ،
ودَواخِلِ النَّفسِ البشريَّةِ
بكلِّ ما تَحمِلُهُ من تعقيدٍ وتركيبٍ.

قَالَ تَعالى:

"وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" *آل عمران: ١٨٥*

أَشكَالُ العَالَمِ المُوَازِي التِّقنِيّ

١. وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الاِجتِمَاعِيّ

- مِثلَ فِيسبُوك، إِنستَغرام، تِيك تَوك...
- النَّاسُ يَصنَعُونَ لِأَنفُسِهِم "شَخصِيَّاتٍ" قَد تَختَلِفُ عَن حَقِيقَتِهِم:
  (صُورَتُهُم، أُسلُوبُهُم، حَتَّى حَيَاتُهُم).
  شَخصٌ يَعِيشُ حَيَاةً عَادِيَّةً وَبَسِيطَةً فِي الوَاقِعِ، لَكِنَّهُ عَلَى إِنستَغرام يُصَوِّرُ نَفسَهُ كَأَنَّهُ يَعِيشُ حَيَاةَ رَفَاهِيَةٍ وَسَفَرٍ دَائِمٍ.
  أَحْيَانًا يَكُونُ مُحتَوَاهُ مُختَلِفًا كُلِّيًّا عَن حَقِيقَتِهِ،
  فَيَصنَعُ "شَخصِيَّةً افتِرَاضِيَّةً " غَيرَ شَخصِيَّتِهِ الوَاقِعِيَّةِ.
  وهُنَا يَعِيشُ كَثِيرُونَ "عَالَمًا مُوَازِيًا" لِحَيَاتِهِمُ الوَاقِعِيَّةِ.

٢. الأَلعَابُ الإِلِكتُرُونِيَّةُ الجَمَاعِيَّةُ (MMORPGs)

فِي لُعبَةٍ مِثلَ *Second Life* أَو *Roblox*، يَختَارُ اللَّاعِبُ شَخصِيَّةً (Avatar) يَعِيشُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَتَحَدَّثُ بِهَا مَعَ الآخَرِينَ.
يَعِيشُ وَيَتَفَاعَلُ بِهَا وَكَأَنَّهُ فِي مَدِينَةٍ أُخرَى.
بَعضُ النَّاسِ يُكَوِّنُونَ صَدَاقَاتٍ أَو عَلاقَاتٍ طَوِيلَةَ الأَمدِ هُنَاكَ،
وَقَد يَقضُونَ وَقتًا أَطوَلَ فِي اللُّعبَةِ مِن حَيَاتِهِمُ الوَاقِعِيَّةِ.

٣. الوَاقِعُ الافتِرَاضِيُّ (VR) وَالوَاقِعُ المُعَزَّزُ (AR)

- تَضَعُ نَظَّارَةً خَاصَّةً وَتَدخُلُ "عَالَمًا ثُلاثِيَّ الأَبعَادِ"؛
  تَمشِي، تَلتَقِي، تَتَحَدَّثُ مَعَ الآخَرِينَ.
- يُستَخدَمُ فِي التَّعلِيمِ، التَّدرِيبِ العَسكَرِيِّ، الطِّبِّ، السِّيَاحَةِ الافتِرَاضِيَّةِ.

طَالِبٌ فِي كُلِّيَّةِ الطِّبِّ يَرتَدِي نَظَّارَةَ VR لِيُجرِيَ عَمَلِيَّةً جِرَاحِيَّةً افتِرَاضِيَّةً بِتَفَاصِيلَ دَقِيقَةٍ وَكَأَنَّهُ فِي غُرفَةِ العَمَلِيَّاتِ.
هَذَا يَفتَحُ "عَالَمًا مُوَازِيًا" لِلتَّدرِيبِ وَالتَّعلِيمِ،
يَختَصِرُ الوَقتَ وَالمَالَ وَيَزِيدُ مِنَ الخِبرَةِ العَمَلِيَّةِ.

٣. المِيتَافِيرس (Metaverse)

- مَفهُومٌ حَدِيثٌ تَبَنَّتهُ كُبرى الشَّرِكَاتِ مِثلَ **Meta** (فِيسبُوك سَابِقًا).
- يَجمَعُ بَينَ الشَّبَكَاتِ الِاجتِمَاعِيَّةِ، الوَاقِعِ الافتِرَاضِيِّ، العُمُلَاتِ الرَّقمِيَّةِ، وَالتَّسَوُّقِ عَبرَ بِيئَةٍ رَقمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ.
- كَأَنَّكَ تَفتَحُ "بَابًا" لِعَالَمٍ جَدِيدٍ تَعِيشُ فِيهِ حَيَاتَكَ بِشَكلٍ آخَرَ.

مثال:

شَخصٌ يَشتَرِي أَرضًا افتِرَاضِيَّةً بِعُملَةٍ رَقمِيَّةٍ وَيَبنِي عَلَيهَا "مَكتَبًا" أَو "مَحَلًّا تِجَارِيًّا".
يَبِيعُ مُنتَجَاتٍ حَقِيقِيَّةً لِزُوَّارٍ مِن مُختَلِفِ دُوَلِ العَالَمِ.

بِمَعنًى آخَرَ: يَعِيشُ دَورَ "رَجُلِ أَعمَالٍ" فِي عَالَمٍ رَقمِيٍّ، وَتَكُونُ أَربَاحُهُ حَقِيقِيَّةً!

الآثَارُ الأَخلَاقِيَّةُ وَالدِّينِيَّةُ

- **قَد يَستَخدِمُ البَعضُ هَذَا العَالَمَ:**

  لِلتَّعلِيمِ عَن بُعدٍ، التِّجَارَةِ الإِلِكتُرُونِيَّةِ،

  التَّوَاصُلِ مَعَ العَالَمِ،

  تَجرِبَةِ الوَاقِعِ فِي مَجَالِ الطِّبِّ أَوِ الهَندَسَةِ.

- **بَينَمَا يَستَغِلُّهُ آخَرُونَ فِي العَلَاقَاتِ المُحَرَّمَةِ،**

  خِدَاعِ النَّاسِ، تَضيِيعِ الأَوقَاتِ،

  نَشرِ الشَّائِعَاتِ، الهُرُوبِ مِنَ الوَاقِعِ،

  ضِيَاعِ الوَقتِ، كَشفِ العَورَاتِ،

  تَزيِيفِ الهُوِيَّةِ، وَالإِدمَانِ.

" - **إِذَا كَانَ ذَلِكَ العَالَمُ الافتِرَاضِيُّ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الشَّرِيعَةِ الإِسلَامِيَّةِ، فَهُوَ مُبَاحٌ،**
أَمَّا إِذَا تَضَمَّنَ مُحَرَّمَاتٍ مِثلَ العُرْيِ أَوِ السَّبِّ أَو أَيِّ أَفعَالٍ تُغضِبُ اللهَ،
فَإِنَّهُ يَكُونُ مُحَرَّمًا."

- **مَا دَامَ العَالَمُ الافتِرَاضِيُّ الجَدِيدُ يَحمِلُ مَظَاهِرَ العُرْيِ، وَالسِّبَابِ، وَانتِهَاكِ الأَعرَاضِ أَوِ الخُصُوصِيَّةِ، أَو أَيِّ شَيءٍ يُغضِبُ اللهَ، فَهُوَ حَرَامٌ،**
أَمَّا إِذَا خَلَت هَذِهِ المِنصَّاتُ مِن تِلكَ المحَرَّمَاتِ، فَهُوَ مُبَاحٌ وَمَرحَبٌ بِهِ.

– "إِنَّ كُلَّ مَا يُلهِي الإِنسَانَ عَن ذِكرِ اللهِ دُونَ فَائِدَةٍ فَهُوَ مَكرُوهٌ،
وَيَشمَلُ ذَلِكَ الأَلعَابَ الإِلكتُرُونِيَّةَ الَّتِي يَحتَوِيهَا العَالَمُ الافتِرَاضِيُّ.
وإِنَّ عَلَى الإِنسَانِ أَن يُحَافِظَ عَلَى ذِكرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ،
وَأَلَّا يَجمَعَ بَينَ مَا يُلهِي عَن ذِكرِ اللهِ وَأَيِّ نَوعٍ مِنَ العِبَادَةِ فِي هَذَا العَالَمِ الافتِرَاضِيِّ". الدُّكتور سَعِيدٍ نُعْمَان

قال تعالى: "**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**" لقمان: ٣٣

قاعدةُ للعلاقاتِ في الواقِعِ الافتِراضيّ

القاعدةُ الأساسِيَّةُ التي ينبغي أن تَحكُمَ العلاقاتِ في الواقِعِ الافتِراضيّ هي:
الحِرصُ الشَّديدُ في العِباداتِ والعلاقاتِ الإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي تَنشَأُ في هذا الواقِعِ.
فلا يُغفَلُ عن مُراعاةِ الشَّرعِ والأخلاقِ فيها.
حِفاظًا على الاستِقامةِ والوِفاقِ بينَ الناسِ.

قَواعِدُ فَرعيَّةٌ:

يَتَفَرَّعُ عن هذهِ القاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ مَجمُوعَةٌ مِنَ القَواعِدِ الفَرعيَّةِ، مِن أبرَزِها:

١. **أَهمِّيَّةُ مُراعَاةِ الواقِعِ والنَّظَرِ في الأَحكامِ الشَّرعِيَّةِ والاجتِماعيَّةِ**

فالعَلاقاتُ في العالَمِ الافتِراضِيِّ لا تُعَدُّ بَديلًا عنِ الاجتِماعِ الإنسانِيِّ المباشِرِ.
فالإنترنتُ قد يَكونُ وَسيلَةً لِلتَّعارُفِ بَيَنَ المخطوبينَ أو عَبرَ مواقِعِ الزَّواجِ،
لَكِنَّهُ لا يُغنِي عنِ اللِّقاءِ المباشِرِ:
فقدْ أَرشدَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، الصَّحابيَّ المغِيرةَ بنَ شُعبةَ،
عندما ذَكَرَ لهُ امرأةً يرغَبُ في خِطبتِها،
أنْ يذهبَ ويَنظُرَ إليها قبلَ الخِطبةِ،
لأنَّ ذلكَ يكونُ أقرَبَ أو أحسَنَ لأنْ تكونَ هناكَ مَحبَّةٌ وتآلُفٌ بينَهُما.
"**اِذهَبْ فانظُرْ إلَيها فإنَّهُ أحرَى أن يُؤدَمَ بَينَكُما.**" الترمذي وابن ماجه

ولا يُكتَفَى بِهِ في الإخبارُ بالطَّلاقِ وإن تَحَقَّقَ الإثباتُ عَبرَهُ.
ولا يَجوزُ الاعتمادُ عَلَيهِ بَديلًا عن خُطبَةِ الجُمُعَةِ، وإن كانتِ الفائدَةُ تَصِلُ عَبرَهُ لِلمُصلِّينَ.

٢. **العَلاقَةُ بَينَ المُؤمنينَ والمُؤمِناتِ في الواقِعِ الافتِراضِيّ** يَجِبُ أن تَكونَ دائِمًا في العَلَنِ

العَلاقَةُ بَينَ المؤمِنينَ والمؤمِناتِ، مِن تَواصٍ بالصَّبرِ وتَواصٍ بالحقِّ،
ومِن تَناصُحٍ ودَعوَةٍ أو تآزُرٍ إنسانِيٍّ أو مُوالاةٍ لأهلِ الإيمانِ ومُعاداةٍ لأعدائِه،
يَجِبُ أن تَكونَ دائِمًا في العَلَنِ وضِمنَ المجالِ العَامِّ الجَماعِيِّ،
ولا يَجُوزُ شَرعًا أو مَنطِقًا أن تَكونَ على غيرِ ذلك.

إِلَّا أنَّ العَلاقاتِ في الواقِعِ الافتِراضِيّ تَكونُ في أحيانٍ كَثيرةٍ سِرِّيَّةً
أو يُمكِنُ أن تَتَحَوَّلَ بِسُهُولَةٍ إلى ذلك،
وتُصبحَ عَلاقاتٍ شَخصِيَّةً وفَردِيَّةً.

القاعِدَةُ الفقهية الأَسَاسِيَّةُ:

"**الوَسيلَةُ المُستَخدَمَةُ لأداءِ عَملٍ ما قَد تُؤَثِّرُ على حُكمِ هذا العَملِ**"،

ولا يَقتَصِرُ الحُكمُ على الهَدفِ أو المقصِدِ فقَط.

في هذا السِّياقِ، الوَسيلَةُ هي الإنترنتُ وَوَسائِلُ الاتِّصالِ الحَديثَةُ، الَّتي تَخلُقُ واقِعًا افتِراضِيًّا لَهُ خَصائِصُهُ المستَقِلَّةُ.

هذِهِ الخَصائِصُ قَد تَجعَلُ الفِعلَ أو السُّلوكَ يَأخُذُ حُكمًا مُختَلِفًا عن حُكمِهِ في الواقِعِ الحَقيقِيّ.

مِثالٌ:

١. **المُراسَلَةُ بَينَ الجِنسَينِ:**

- مَضمونُ الرِّسالَةِ قَد يَكونُ بَريئًا،
لَكِن كَونُها عَبرَ الإنترنتِ يُؤخَذُ بِعَينِ الاعتِبارِ عِندَ الحُكمِ الشَّرعِيّ،
لأنَّ الوَسيلَةَ نَفسَها قَد تُؤدِّي إلى مُخالَفَةِ الضَّوابِطِ الشَّرعِيَّةِ
أو استِثارَةِ مَحاذِيرَ مُعَيَّنَةٍ.
فَقَد تَنتَشِرُ الرَّسائِلُ أو تُحفَظُ وتُستَخدَمُ بِطَريقَةٍ غَيرِ مَقصودَةٍ،
وَقَد تَنشَأُ مَشاعِرُ غَيرُ مُناسِبَةٍ أو تَواصُلٌ غَيرُ مَشروعٍ
يُؤدِّي إلى مُخالَفَةِ الضَّوابِطِ الشَّرعِيَّةِ أو سُوءِ فَهمٍ للعِلاقَةِ.

٢. **تَعَرِّي الزَّوجَةِ أَمامَ الزَّوجِ:**

- في الواقِعِ الحَقيقِيّ، هذا جائِزٌ ضِمنَ إطَارِ الزَّواجِ الشَّرعِيّ.
- في الواقِعِ الافتراضيّ، قَد يُحكَمُ عَلَيهِ بِشَكلٍ مُختَلِفٍ،
لأنَّ الوَسيلَةَ (الواقِعُ الافتراضيُّ) قَد تُتيحُ وُصولَ الصُّورَةِ أو المشهَدِ لِلغَيرِ

أو تُسَجَّلُ بِطَرِيقَةٍ غَيرِ مَقصودَةٍ، مِمَّا يُغَيِّرُ حُكمَ الفِعلِ. فَقَد يُحفَظُ المِشهَدُ أو يُعرَضُ على آخَرينَ عَن طَريقِ الخَطَأ.

فالحُكمُ الشَّرعِيُّ لا يَعتَمِدُ فَقَط على المقصِدِ، بَل يَجِبُ الأَخذُ بِعَينِ الاعتِبارِ الوَسيلَةَ الَّتي يُنجَزُ بِهَا الفِعلُ، خاصَّةً فِي البِيئاتِ الرَّقميَّةِ أو الافتِراضيَّةِ،
لأنَّ لَها تَأثيرًا قَد يُغَيِّرُ طَبيعَةَ الحُكمِ.

قَالَ تَعالى:
"إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"
الأحزاب: ٣٥

عَلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا السَّلَامِ الرُّوحِيّ وَالطَّهَارَةِ النَّفْسِيَّةِ
يُرِيدُنَا اللَّهُ أَنْ نَحْيَا رِجَالًا وَنِسَاءً،
فَكَيْفَ لِأَصْحَابِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَنْ يَقْتَفُوا أَثَرَ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ
وَهُمْ عَلَى هَذَا الْهُدَى وَهَذَا النُّورِ ؟!.

القاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: سُلوكُ المُكلَّفِينَ فِي الواقِعِ الافتِراضِيّ

- **يَنشَأُ التَّساؤُلُ: هَلِ الهَمُّ بِالسُّلوكِ، سَواءٌ كانَ إيجابِيًّا أَو سَلبِيًّا،**
  يَأخُذُ نَفسَ حُكمِ الفِعلِ فِي الواقِعِ المتَخَيَّلِ كَما هُوَ فِي الواقِعِ الحَقيقِيّ؟
- **هَلِ السُّلوكِيَّاتُ فِي الواقِعِ المُتَخَيَّلِ** لَها قِيمَةٌ بِذاتِها،
  أَم أَنَّ قِيمَتَها تُقاسُ بِما تُحدِثُهُ فِي الواقِعِ الحَقيقِيّ؟
- ما يَنبَغِي التَّأكِيدُ عَلَيهِ هُوَ أَنَّ الإرادَةَ المختارَةَ الَّتي يَصدُرُ عَنها السُّلوكُ
  هِيَ ما يُعتَدُّ بِهِ فِي الحُكمِ الشَّرعِيّ جَوازًا أَو مَنعًا؛
  وَبِهَذا يَمتَدُّ مَوضوعُ عِلمِ الفِقهِ لِيَشمَلَ أَفعالَ المكلَّفِينَ فِي الواقِعَيْنِ:
  الحَقيقِيّ وَالافتراضِيّ.

- **فالنِّيَّةُ وَراءَ الفِعلِ وَقَصدُ المُكلَّفِ هُوَ ما يُعتَدُّ بِهِ فِي الحُكمِ الشَّرعِيِّ.**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**". *البخاري ومسلم*

أمثِلَةٌ:

١. **التَّبرُّعُ فِي لُعبَةٍ افتراضيَّةٍ:**

إِذَا تَبَرَّعَ شَخصٌ فِي لُعبَةٍ افتراضيَّةٍ بِشَيءٍ رَمزِيٍّ مِثلَ النِّقاطِ،
لا يُعتَبَرُ التَّبرُّعُ واجِبًا شَرعِيًّا إِلَّا إِذَا كانَ لَهُ أَثَرٌ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ
(مِثلَ تَحوِيلِ النِّقاطِ إِلى دَعمٍ لِمُحتاجِينَ حَقيقِيِّينَ).

٢. **الإِهانَةُ أَو السَّبُّ فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ:**

إِذَا قَامَ شَخصٌ بِإِهانَةِ آخَرَ فِي لُعبَةٍ أَو بيئَةٍ افتراضيَّةٍ،
فَقَد لا يَكُونُ هُناكَ أَذىً حَقيقِيٌّ، لَكِنَّ الإرادَةَ السَّيِّئَةَ مَوجُودَةٌ،
وَبِالتَّالِي يَكُونُ الفِعلُ مَحلَّ نَقدٍ أَخلاقِيٍّ وَدِينِيٍّ حَسَبَ السِّياقِ.

٣. **تَعلِيمٌ أَو نَشرُ عِلمٍ فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ:**

إِذَا أَلقَى شَخصٌ دَرسًا أَو نَشَرَ عِلمًا فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ بِنِيَّةِ نَشرِ الخَيرِ،
يَكُونُ هَذا الفِعلُ مَحمُودًا شَرعًا، حَتَّى لَو لَم يَكُن لَهُ تَأثِيرٌ مُباشِرٌ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ،
لأَنَّ النِّيَّةَ صالِحَةٌ وَالإِرادَةَ إِيجابِيَّةٌ.

الخُلاصَةُ

- الحُكمُ الشَّرعِيُّ يَعتَمِدُ عَلَى الإِرادَةِ وَالنِّيَّةِ أَكثَرَ مِنَ المكانِ أَو الوَسيلَةِ.
- الواقِعُ الافتِراضِيُّ لَيسَ خَارِجَ نِطاقِ الفِقهِ، بَل يُنظَرُ إِلى أَفعالِ المكلَّفِ فِيهِ وَفقَ نَفسِ المَبادِئِ الَّتِي تَحكُمُ الواقِعَ الحَقيقِيَّ، مَعَ مُراعَاةِ تَأثِيرِ الوَسيلَةِ عَلَى النَّتائِجِ وَالمقاصِدِ.

أَثَرُ الواقِعِ المُتَخَيَّلِ عَلَى الواقِعِ الحَقيقِيّ

المَبدَأُ الأَساسِيُّ

لا يَجُوزُ الاستِغناءُ بِالواقِعِ المتَخَيَّلِ عَنِ الواقِعِ الحَقيقِيّ،
بِمَعنَى آخَرَ، كُلُّ فِعلٍ فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ يُحكَمُ عَلَيهِ بِحَسَبِ تَأثِيرِهِ أَوِ انعِكاسِهِ عَلَى الواقِعِ الحَقيقِيّ.
وهُنا تَأتِي نَظَرِيَّةُ المَآلِ:
أَيِ النَّظَرُ إِلَى نِهايَةِ الفِعلِ أَو أَثَرِهِ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ لِتَحدِيدِ حُكمِهِ الشَّرعِيِّ.

أَمثِلَةٌ تَوضِيحِيَّةٌ

الجِنسُ الإِلِكترُونِيُّ

السُّلوكُ فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ قَد يَكُونُ مُجَرَّدَ تَفاعُلٍ رَقمِيٍّ،
لَكِنَّهُ يُعتَبَرُ مُقَدِّمَةً لِلجِنسِ الحَقيقِيِّ.

بِالتَّالِي، قَد يُحكَمُ عَلَيهِ بِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ إِذا كانَ يُؤَدِّي إِلَى إِثارَةِ شَهوَةٍ مُحَرَّمَةٍ أَو يَتَعارَضُ مَعَ الضَّوابِطِ الشَّرعِيَّةِ.

التَّأثِيرُ النَّفسِيُّ أَوِ السُّلوكِيُّ لِلوَاقِعِ المُتَخَيَّلِ

مُشاهَدَةُ أَو مُمارَسَةُ أَفعالٍ غَيرِ مَشروعَةٍ فِي الواقِعِ الافتِراضِيِّ قَد تُؤَثِّرُ عَلَى سُلُوكِ الشَّخصِ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ، مِثلَ العُنفِ أَوِ الإِساءَةِ لِلآخَرِينَ.

هَذا التَّأثِيرُ يَجعَلُ الحُكمَ الشَّرعِيَّ عَلَى الفِعلِ فِي الواقِعِ المتَخَيَّلِ مُرتَبِطًا بِعَواقِبِهِ المحتَمَلَةِ فِي الواقِعِ الحَقيقِيّ.

يَقُولُ تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ..." *الأنعام: ١٥١*

فَقَد أَصبَحَ الوُصولُ إِلَى المحتَوَى الفاحِشِ عَبرَ الإِنتَرنتِ أَسهَلَ مِن أَيِّ وَقتٍ مَضَى،
سَواءٌ أَكانَ ظاهِرًا وَمَكشوفًا لِلجَميعِ،
أَو خَفِيًّا عَبرَ المَنَصّاتِ الخَاصَّةِ وَالمُحادَثاتِ السِّرِّيَّةِ.
الآيَةُ الكَرِيمَةُ تُحَذِّرُ مِن مُجَرَّدِ الِاقترابِ مِنَ الفَواحِشِ،
وَلَيسَ فَقَطِ ارتِكابِها، لِأَنَّ خُطوَةَ الِاقترابِ نَفسَها قَد تَجُرَّ إِلَى الوُقوعِ فِي الحَرامِ.

إِنشَاءُ مَواقِعَ دَعوِيَّةٍ أَو تَعلِيمِيَّةٍ

مَوقِعٌ لِلتَّعريفِ بِالدِّينِ وَالدَّعوَةِ إِلى الإِسلامِ: جائِزٌ، وَيُمكِنُ إِخراجُ الزَّكاةِ لِدَعمِهِ،
لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ إِيجابًا عَلَى الواقِعِ الحَقيقِيِّ.

إِنشَاءُ مَسجِدٍ فِي عالَمٍ افتراضِيٍّ: لا يُعتَبَرُ عَمَلًا صالِحًا بِحَدِّ ذاتِهِ،
إِلَّا إِذَا استُخدِمَ لِأَدوارٍ أُخرَى مِثلَ تَعلِيمِ النَّاسِ أَوِ الدَّعوَةِ،
أَي إِذَا كانَت لَهُ نَتائِجُ إِيجابِيَّةٌ مَلمُوسَةٌ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ.

الخُلاصَةُ

- الواقِعُ الافتِراضِيُّ أَدَاةٌ، وَالحُكمُ عَلَى أَفعالِهِ يَعتَمِدُ عَلَى نَتائِجِهِ أَو انعِكاسِهِ عَلَى الواقِعِ الحَقيقِيِّ.
- الأَفعالُ الَّتِي لا تُؤَثِّرُ فِي الواقِعِ الحَقيقِيِّ أَو تَكُونُ مُجَرَّدَ تَمثِيلٍ خَيالِيٍّ بَحتٍ،
  تُقَيَّمُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ وَالإِرادَةِ،
  أَمَّا الأَفعالُ الَّتِي لَها أَثَرٌ حَقِيقِيٌّ
  فَهِيَ تُخضَعُ لِلحُكمِ الشَّرعِيِّ الحَقِيقِيِّ مُباشَرَةً.

الشَّخصِيَّةُ بَينَ الوَاقِعِ الحَقِيقِيِّ وَالوَاقِعِ الافتِرَاضِيِّ

فِي الوَاقِعِ الحَقِيقِيّ،

نُلاحِظُ وُجُودَ فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ تَظهَرُ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاِجتِمَاعِيِّ بِوَجهٍ،

وَفِي حَيَاتِهِمُ اليَومِيَّةِ بِوَجهٍ آخَرَ مُختَلِفٍ تَمَامًا.

فَهُنَاكَ مَن تَرَاهُم فِي الصُّفُوفِ الأُولَى فِي المسَاجِدِ،

وَصَفَحَاتُهُمُ الإِلكتُرُونِيَّةُ مَلِيئَةٌ بِالآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ وَالموَاعِظِ،

لَكِن مَا إِنْ تَتَعَارَضْ مَصَالِحُهُمُ الشَّخصِيَّةُ مَعَ حُكمٍ شَرعِيٍّ

حَتَّى يُقَدِّمُوا أَهوَاءَهُم عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرعُ،

مِمَّا يَكشِفُ ازدِوَاجِيَّةً فِي السُّلُوكِ بَينَ الوَاقِعَينِ.

يَقولُ تَعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾. *سورة الصف: ٢*

وَهَذَا إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ يُخَالِفُ فِعْلُهُ قَوْلَهُ.

﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾. *سورة الصف: ٣*

فَهَلْ تَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الحَالَةُ الذَّمِيمَةُ؟

إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ،

بَرَزَت فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ ظَاهِرَةُ النِّقَاشَاتِ الحَادَّةِ حَولَ مَسَائِلَ خِلَافِيَّةٍ؛

سَوَاءٌ كَانَت عَقدِيَّةً، فِقهِيَّةً، أَو حَتَّى قَضَايَا مُعَاصِرَةً مِثلَ ثَوَرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ.

وَبِسَبَبِ مَحدُودِيَّةِ أَدَوَاتِ الحِوَارِ – الَّتِي تَعتَمِدُ غَالِبًا عَلَى الكِتَابَةِ فَقَط

– يَتَحَوَّلُ النِّقَاشُ مِن هُدُوءٍ وَاتِّزَانٍ إِلَى اِنفِعَالٍ وَغَضَبٍ.

وَقَد يَصِلُ الأَمرُ إِلَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ، أَوِ الحَظْرِ، أَو حَتَّى التَّكفِيرِ العَلَنِيِّ لِلآخَرِ، مِمَّا يَزرَعُ البَغضَاءَ وَالشَّحنَاءَ بَدلًا مِن تَقرِيبِ القُلُوبِ.

قال تعالى: "

"وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..." *البقرة: ٨٣*

وَهذا يَتَضَمّنُ النَّهْيَ عَنِ الكَلَامِ القَبِيحِ لِلنَّاسِ حَتَّى لِلكُفَّارِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: "**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.**" العنكبوت ٤٦
وَمِنْ أَدَبِ الإِنْسَانِ الَّذِي أَدَّبَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ نَزِيهًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ،
غَيْرَ فَاحِشٍ وَلَا بَذِيءٍ، وَلَا شَاتِمٍ، وَلَا مُخَاصِمٍ.
بَلْ يَكُونُ حَسَنَ الخُلُقِ، وَاسِعَ الحِلْمِ، مُجَامِلًا لِكُلِّ أَحَدٍ،
صَبُورًا عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ أَذَى الخَلْقِ.امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَرَجَاءً لِثَوَابِهِ.

كَمَا أَنَّ غِيَابَ الرَّقَابَةِ الذَّاتِيَّةِ وَالأَدَبِ فِي التَّعبِيرِ
يُؤَدِّي أَحْيَانًا إِلَى فُقدَانِ القِيَمِ الإِنسَانِيَّةِ الأَسَاسِيَّةِ،
فَيَظهَرُ التَّبَايُنُ الكَبِيرُ بَينَ الأَخلَاقِ فِي العَالَمِ الحَقِيقِيِّ وَالأَخلَاقِ فِي العَالَمِ الافتِرَاضِيِّ،
حَتَّى وَإِن كَانَ الطَّرَفَانِ شَخصًا وَاحِدًا.
وَهَذَا يَعكِسُ أَهَمِّيَّةَ التَّربِيَةِ الأَخلَاقِيَّةِ وَالوَعيِ الرَّقمِيِّ
لِضَمَانِ أَن يَكُونَ السُّلُوكُ فِي الوَاقِعِ الافتِرَاضِيِّ امتِدَادًا طَيِّبًا
وَمُكَمِّلًا لِلأَخلَاقِ وَالقِيَمِ الإِسلَامِيَّةِ فِي الوَاقِعِ الحَقِيقِيِّ، وَلَيسَ عَكسَهَا.

فالجَمِيعُ يَحفَظُ العِبَارَةَ المشهُورَةَ: "**اِختِلَافُ الرَّأيِ لَا يُفسِدُ لِلوُدِّ قَضِيَّةً**"،
لَكِنَّ الوَاقِعَ يُثبِتُ أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَنَاسَونَهَا عِندَ وُقُوعِ الخِلَافَاتِ.
يُروَى عَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ بَعدَ مُنَاظَرَةٍ:
"**يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَستَقِيمُ أَن نَكُونَ إِخوَانًا وَإِن لَم نَتَّفِق فِي مَسأَلَةٍ؟**"

وَقَد عَلَّقَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَولِهِ:
"**هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقلِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَفِقهِ نَفسِهِ،**
فَمَا زَالَ العُلَمَاءُ يَختَلِفُونَ، وَيَبقَى بَينَهُمُ الوُدُّ وَالِاحتِرَامُ".

إِنَّ الأَخلَاقَ فِي الإِسلَامِ لَهَا مَنزِلَةٌ عَظِيمَةٌ، فَقَد قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:
"**إِنَّمَا بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلَاقِ**" *رَوَاهُ أَحمَد*
و"**مَا مِن شَيءٍ أَثقَلَ فِي مِيزَانِ العَبدِ مِن خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ يُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**"
رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ

الخُلَاصَةُ:

العَالَمُ المِوَازِي أَوِ الافتِرَاضِيُّ بِالتِّقنِيَةِ هُوَ "نُسخَةٌ رَقمِيَّةٌ مِن حَيَاتِنَا."
قَد تَمنَحُنَا فُرَصًا عَظِيمَةً لِلتَّطَوُّرِ وَالتَّعَلُّمِ.
لَكِنَّهَا أَيضًا قَد تَفتَحُ أَبوَابًا لِلانحِرَافِ أَوِ الإِثمِ إِن لَم تُضبَط بِمِيزَانِ الشَّرعِ وَالأَخلَاقِ.

العَالَمُ المِوَازِي فِي التِّقنِيَّاتِ الحَدِيثَةِ هُوَ فَضَاءٌ افتِرَاضِيٌّ يَعِيشُ فِيهِ الإِنسَانُ تَجَارِبَ وَأَدوَارًا مُختَلِفَةً عَن حَيَاتِهِ الوَاقِعِيَّةِ.
وَإِذَا استُخدِمَ هَذَا العَالَمُ لِلعِلمِ، أَوِ التَّعلِيمِ، أَو نَشرِ الخَيرِ، فَهُوَ مُفِيدٌ وَنَافِعٌ.
أَمَّا إِذَا استُخدِمَ لِلكَذِبِ، أَو خِدَاعِ الآخَرِينَ، أَو إِضَاعَةِ الوَقتِ بِلَا فَائِدَةٍ، فَإِنَّهُ يُصبِحُ مَصدَرَ ضَلَالٍ وَآثَامٍ تُحَاسَبُ عَلَيهَا النَّفسُ.

سِرُّ الِاهتِمَامِ العَالَمِيّ بِهِ

العَالَمُ الافتِرَاضِيُّ يَجذِبُ الِاهتِمَامَ لِأَنَّهُ يَمزُجُ بَينَ التَّرفِيهِ، العَمَلِ، التَّعَلُّمِ، وَالتَّوَاصُلِ الِاجتِمَاعِيّ بِطَرِيقَةٍ لَم تَكُن مُمكِنَةً مِن قَبلُ.
مِمَّا يَجعَلُهُ مَجَالًا حَيَوِيًّا لِكُلٍّ مِنَ الأَفرَادِ وَالشَّرِكَاتِ وَالحُكُومَاتِ.
وَهَذَا بِاختِصَارٍ سِرُّ الِاهتِمَامِ العَالَمِيّ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: مُوَاجَهَةُ الإِشَاعَاتِ وَدَلِيلُ التَّعَامُلِ مَعَهَا

الشَّائِعَاتِ

مَعَ تَطَوُّرِ هَذِهِ التِّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ،
ابْتُلِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِفِتْنَةِ نَشْرِ الْإِشَاعَاتِ وَتَرْدِيدِهَا دُونَ رُؤْيَةٍ،
وَدُونَ نَظَرٍ فِي عَوَاقِبِهَا أَوِ الشُّرُورِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهَا.

وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الشَّائِعَاتِ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْمُدَمِّرَةِ لِلأَشْخَاصِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ،
فَهِيَ تَهْدِمُ الثِّقَةَ، وَتَزْرَعُ الْكَرَاهِيَةَ، وَتُشِيعُ الْفَوْضَى،
وَقَدْ تُسْقِطُ بُيُوتًا عَامِرَةً، وَتُدَمِّرُ سُمْعَةَ أُنَاسٍ أَبْرِيَاءَ فِي لَحْظَةٍ.

وَلِذَلِكَ جَاءَ التَّحْذِيرُ الرَّبَّانِيُّ صَرِيحًا:
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ *النور: ١٥*

كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ ...لَكِنَّهَا تَنْتَشِرُ، تُتَنَاقَلُ، وَتُرْوَى،
تُحْدِثُ فِتْنَةً، وَتَزْرَعُ الْحِقْدَ، وَتُشْعِلُ نَارَ الْبَغْضَاءِ،
فَيَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ العظيمُ جَزَاءَهَا،
وقبلها عذابٌ أليمٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ:

فَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَنَامِ مَشْهَدًا مُرْعِبًا،
جَاءَهُ مَلَكَانِ، فَأَخَذَاهُ إِلَى **أَلأَرْض الْمُقَدَّسَةِ**، أَوْ فَضَاءٍ وَاسِعٍ،
فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا، وَآخَرَ وَاقِفًا عِنْدَ رَأْسِهِ،
بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ —كَالْحَرْبَةِ أَوِ الْخَطَّافِ—
فَأَدْخَلَهُ فِي جَانِبِ فَمِهِ، حَتَّى شَقَّ قَفَاهُ،
ثُمَّ عَادَ لِلْجَانِبِ الآخَرِ، وَمَا إِنْ يَنْتَهِي حَتَّى يَلْتَئِمَ الْفَمُ،
ثُمَّ يُعِيدُ الْكَرَّةَ مِرَارًا وَمِرَارًا...
فَقَالَ ﷺ:
"مَن هَذَا؟"

فَقَالَ الْمَلَكَانِ:

"هَذَا رَجُلٌ يَكْذِبُ الْكِذْبَةَ، فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". رَوَاهُ الْبُخَارِي

فَالْأَصْلُ فِي الْمُؤْمِنِ الصِّدْقُ، لَا الْكَذِبُ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾ النحل: ١٠٥

فَإِنْ كَانَ الْفَاسِقُ يُحَذَّرُ مِنْهُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ الحُجُرَات: ٦

فَكَيْفَ بِعَصْرِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الزَّائِفَةِ، وَالْحِسَابَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَالْمَجْمُوعَاتِ الْمُضَلِّلَةِ؟!

فَلْيَكُنْ مَوْقِفُكَ وَاضِحًا،

اِجْعَلْ نِيَّتَكَ دَائِمًا حِفْظَ الْأَعْرَاضِ وَالسِّتْرَ،

وَتَذَكَّرْ أَنَّ نَقْرَةً وَاحِدَةً قَدْ تَجْعَلُكَ شَرِيكًا فِي نَشْرِ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ،

إِذَا وَصَلَتْكَ إِشَاعَةٌ، أَوْ فَضِيحَةٌ، أَوِ اتِّهَامٌ لِأَحَدٍ،

فَاجْعَلْهَا تَقِفُ عِنْدَكَ، وَلَا تَتَعَدَّاكَ.

وَلَا تَكُنْ سَبَبًا فِي نَشْرِ الْكَذِبِ، وَلَوْ بِنَقْرَةِ "إِعَادَةِ إِرْسَالٍ!".

ثُمَّ، إِنَّ وُقُوعَ النَّاسِ فِي الْخَطَأِ لَيْسَ مُبَرِّرًا لِفَضْحِهِمْ وَلَا لِنَشْرِ صُوَرِهِمْ؛

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِالِاسْتِرَارِ، وَحَذَّرَ مِنْ تَتَبُّعِ الْعَوَارِ.

وَمَنْ اعْتَادَ فَضْحَ النَّاسِ عاقَبَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَهْتِكَ سِتْرَهُ كَمَا هَتَكَ سِتْرَ غَيْرِهِ.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ". صحيح مسلم

وَقَالَ أَيْضًا:

"يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ،

وَلَا تَتَّبِعُوا عَوَارَتَهُمْ؛ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يُفَضَحَهُ فِي بَيْتِهِ".

الترمذي، وأبو داود

وَلِلأَسَفِ نَرَى الْيَوْمَ مَنْ يَلْتَقِطُ صُوَرًا لِمُخْطِئِينَ أَوْ لِفَتَيَاتٍ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ،
أَوْ فِي حَفَلَاتٍ وَصَالَاتِ أَفْرَاحٍ،
ثُمَّ تُتَدَاوَلُ الصُّوَرُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ، وَتَنْتَقِلُ مِنْ هَاتِفٍ إِلَى آخَرَ
حَتَّى تُصْبِحَ مَادَّةً عَامَّةً يَتَحَدَّثُ فِيهَا النَّاسُ بِلَا وُعْيٍ وَلَا تَقْوَى.

وَهُنَا نُذَكِّرُ: الْفَاعِلُ، وَالنَّاقِلُ، وَالنَّاشِرُ، وَالْمُشَاهِدُ... كُلُّهُمْ دَاخِلُونَ فِي الْإِثْمِ سَوَاءً.

وَلَنَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلشَّابِّ الَّذِي اسْتَأْذَنَهُ فِي الزِّنَا عِبْرَةٌ بَالِغَةٌ؛
إِذْ سَأَلَهُ:
"أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟ أَتَرْضَاهُ لأُخْتِكَ؟ أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟ أَتَرْضَاهُ لِخَالَتِكَ؟"

فَكَانَ الشَّابُّ يُجِيبُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ: "لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ".

عِنْدَهَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَا النَّاسَ يَرْضَوْنَهُ لِنِسَائِهِمْ".

فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَضِيحَةٌ، أَوْ صُورَةٌ، أَوْ مُقَطَّعٌ فِيهِ كَشْفُ سِتْرِ مُسْلِمٍ،
فَلْتَجْعَلْهَا تَقِفُ عِنْدَكَ وَلَا تَتَعَدَّاكَ.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مَنْ يَسْتُرُ لَا مَنْ يُشَهِّرُ، وَمَنْ يُصْلِحُ لَا مَنْ يُفْسِدُ،
وَمَنْ حَفِظَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي غَيْبَتِهِ حَفِظَهُ اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَى وَجْهَهُ.

التَّبَيُّنُ وَالتَّثَبُّتُ فِي الإِسْلَامِ

فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ، كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، فَلَاقَى رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ.

فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ أُسَامَةُ، وَرَفَعَ سَيْفَهُ لِيُجَهِّزَ عَلَيْهِ،
قَالَ الرَّجُلُ فَجْأَةً: "**أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ**"!

لَكِنَّ أُسَامَةَ ظَنَّ أَنَّهُ قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ، لَا إِيمَانًا بِاللهِ... فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

فَلَمَّا عَادَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ وَالنَّدَمُ يَمْلَأُ قَلْبَهُ:
"**يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكْتُ**"!
فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "**وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟**"!، "**وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟**"!

فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى، فَقَالَ لَهُ ﷺ، وَهُوَ يُكَرِّرُهَا فِي وَجْهِهِ بِلَهْجَةٍ غَاضِبَةٍ مُؤَنِّبَةٍ:
"**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**"!

قَالَ أُسَامَةُ: "**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ**".
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَتَهُ الْخَالِدَةَ: "**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟**"!
فَقَالَ أُسَامَةُ: "**يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ شَقَقْتَ بَطْنَهُ، أَكُنْتَ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ؟**"!
قَالَ لَهُ ﷺ: "**لَا. فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا نَطَقَ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ**"!
ثُمَّ قَالَ لَهُ: **فَكَيْفَ لَكَ بِـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**"!

وَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَرِّرُ هَذَا السُّؤَالَ الْمُؤْلِمَ مِرَارًا عَلَى أُسَامَةَ،
حَتَّى قَالَ أُسَامَةُ فِي حَسْرَةٍ شَدِيدَةٍ:
"**وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**"! رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ النِّسَاء: ٩٤

أَيْ تَثَبَّتُوا – أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ – فِي كُلِّ أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ،
وَلَا تَتَعَجَّلُوا فِي أَحْكَامِكُمْ،
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُم بِتَحِيَّةِ ٱلْإِسْلَامِ أَوْ نَطَقَ بِٱلشَّهَادَتَيْنِ: لَسْتَ مُؤْمِنا،
وَإِنَّمَا فَعَلْتَ ذَٰلِكَ تَقِيَّةً ثُمَّ تَقْتُلُونَهُ.

وَرُوِيَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاس قَالَ:

كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ لِيَأْخُذَ مِنْهُمُ ٱلصَّدَقَاتِ،
وَإِنَّهُمْ لَمَّا أَتَاهُمُ ٱلْخَبَرُ فَرِحُوا وَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَ رَسُولَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ.

فَرَجَعَ ٱلْوَلِيدُ – ظَنّا مِّنْهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ قَدْ مَنَعُوا ٱلصَّدَقَةَ.

فَغَضِبَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ مِن ذَٰلِكَ غَضَبا شَدِيدا،
فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَن يَغْزُوهُمْ، إِذْ أَتَاهُ ٱلْوَفْدُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ،
إِنَّا بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَكَ رَجَعَ مِن نِّصْفِ ٱلطَّرِيقِ،
وَإِنَّا خَشِينَا أَن مَّا رَدَّهُ كِتَابٌ جَآءَ مِنكَ لِغَضَبٍ غَضِبْتَهُ عَلَيْنَا،
وَإِنَّا نَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَبَعَثَ نَبِيُّ ٱللَّهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَثَبَّتَ وَلَا يَعْجَلَ.

فَٱنْطَلَقَ خَالِدٌ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلا، فَبَعَثَ عُيُونَهُ،
فَلَمَّا جَاءُوا أَخْبَرُوا خَالِدا أَنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِٱلْإِسْلَامِ،
وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ، وَرَأَى صِحَّةَ مَا ذَكَرُوهُ،
فَعَادَ إِلَى نَبِيِّ ٱللَّهِ — صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَخْبَرَهُ.

فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ — تَبَارَكَ وَتَعَالَى — ٱلْآيَةَ:
﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ ٱلْحُجُرَات: ٦.

فَكَانَ نَبِيُّ ٱللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
"**ٱلتَّأَنِّي مِنَ ٱللَّهِ، وَٱلْعَجَلَةُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ**".

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَٱلْكِسَائِيُّ: ﴿**فَتَثَبَّتُوا**﴾.
وَٱلْمَعْنَى وَاحِدٌ: ٱلتَّأَنِّي وَعَدَمُ ٱلتَّعَجُّلِ حَتَّى تَظْهَرَ ٱلْحَقِيقَةُ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ ٱلْفَاسِقُ.

فَلَا تَقْبَلُوهُ بِدُونِ تَبَيُّنٍ أَوْ تَثَبُّت،
لِأَنَّ مَن لَا يَتَحَامَى ٱلْفُسُوقَ لَا يَتَحَامَى ٱلْكَذِبَ، فَٱلْمَخَاطِرُ كَثِيرَة.

وَقَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ:
ٱلْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ ٱلْوَاحِدِ إِذَا كَانَ عَدْلًا،
لِأَنَّ ٱلتَّثَبُّتَ مَطْلُوبٌ عِنْدَ نَقْلِ خَبَرِ ٱلْفَاسِقِ.
لِأَنَّ مَن ثَبَتَ فِسْقُهُ، يَبْطُلُ قَوْلُهُ فِي ٱلْأَخْبَارِ،
لِأَنَّ ٱلْخَبَرَ أَمَانَة، وَٱلْفِسْقُ قَرِينَة تُبْطِلُهَا.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَنْشُرَ إِلَّا مَا تَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهِ،
مِنَ ٱلْمَصَادِرِ ٱلْمَوْثُوقِ بِهَا، حَتَّى لَا يَكُونَ عُرْضَة لِلْكَذِبِ.

فَٱلتَّثَبُّتُ مِن كُلِّ خَبَر، وَمِن كُلِّ ظَاهِرَة، وَمِن كُلِّ حَرَكَة قَبْلَ ٱلْحُكْمِ عَلَيْهَا،
هُوَ دَعْوَةُ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ،
وَمَنْهَجُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلدَّقِيقُ.

فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ ٱلْإِنْسَانُ كَلِمَة،
أَوْ يَنْقُلَ رِوَايَة،
أَوْ يَرْوِيَ حَادِثَة،
أَوْ يَحْكُمَ ٱلْعَقْلُ حُكْما،
أَوْ يُبْرِمَ أَمْرا،
إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِن كُلِّ جُزْئِيَّة،
وَمِن كُلِّ مُلَابَسَة،
وَمِن كُلِّ نَتِيجَة،
فَلَا يَبْقَى أَيُّ شَكٍّ أَوْ شُبْهَة فِي صِحَّتِهَا.

قَالَ تَعَالَى:
"**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولا**" الاسراء:٣٦

قَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
لَا تَتَّبِعْ مَا لَا تَعْلَمُهُ، وَلَا يَعْنِيكَ، مِنْ قَوْل أَوْ فِعْل.

وَقَالَ قَتَادَةُ:
لَا تَقُلْ رَأَيْتُ وَأَنْتَ لَمْ تَرَ،
وَلَا سَمِعْتُ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ،
وَلَا عَلِمْتُ وَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ.

وَقَالَ صَاحِبُ ٱلْكَشَّافِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
ٱلْمُرَادُ: لَا تَقُلْ أَوْ تَفْعَلْ مَا لَا تَعْلَمُ صِحَّتَهُ.
وَهَذَا يَشْمَلُ ٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلتَّقْلِيدِ ٱلْأَعْمَى، لِمَا لَا يُعْرَفُ صِحَّتُهُ.

"**إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولا**". الاسراء:٣٦

كُلُّ هَذِهِ ٱلْأَعْضَاءِ مَسْئُولَةٌ عَنْ أَفْعَالِهَا،
وَسَيُسْئَلُ عَنْهَا ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

وَقِيلَ: ٱلسُّؤَالُ هُنَا لِلْأَعْضَاءِ لِلتَّوْبِيخِ عَلَى تَصَرُّفِ ٱلْإِنْسَانِ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
"ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ". يس: ٦٥

وَقَوْلِهِ:
"وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ". فصلت: ١٩،٢٠

وَمَعْنَى ﴿**كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ**﴾: يُشِيرُ إِلَى ٱلْأَعْضَاءِ، لِأَنَّهَا جُزْء مِنَ ٱلْإِنْسَانِ،
وَقَدْ تَكُونُ شَاهِدَة عَلَيْهِ،
وَيُؤَكِّدُ عَلَى مَسْئُولِيَّةِ ٱلْإِنْسَانِ عَنْ تَتَبُّعِهِ لِمَا لَا يَعْلَمُ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أُذُنا تَسْمَعُ وَتُذِيعُ كُلَّ مَا تَسْمَعُ.

ٱلتَّثَبُّتُ مَطْلُوب:
مِن كُلِّ خَبَر، وَكُلِّ ظَاهِرَة، وَكُلِّ حَرَكَة، قَبْلَ ٱلْحُكْمِ عَلَيْهَا.

فَٱلتَّبَيُّنُ وَٱلتَّثَبُّتُ وَاجِب عَلَى ٱلْمُسْلِمِ فِي أَيِّ قَضِيَّة،
خَاصَّة تِلْكَ ٱلْمُتَعَلِّقَةُ بِٱلْأَعْرَاضِ.

قَالَ تَعَالَى فِي حَادِثَةِ ٱلْإِفْكِ:
﴿**لَّوْلَا جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ**﴾ ٱلنُّور: ١٣

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا قَوْلا بِلَا دَلِيل،
فَكَانَ جَزَاؤُهُمُ ٱلْخِزْيَ وَٱلْعَارَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ.

وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ ٱلتَّثَبُّتَ وَٱلتَّبَيُّنَ مِنَ ٱلْقِيَمِ ٱلْأَصِيلَةِ ٱلَّتِي جَاءَ بِهَا ٱلْإِسْلَامُ،
وَجَعَلَهَا مَنْهَجا لِلْحَيَاةِ؛
حِمَايَة لِلْعَقِيدَةِ وَٱلْعِبَادَةِ،
وَصَوْنا لِلْأَعْرَاضِ وَٱلْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ ٱلِٱنْحِرَافِ وَٱلْبَاطِلِ.

وَقَدْ تَكَرَّرَتِ ٱلنُّصُوصُ ٱلْقُرْآنِيَّةُ وَٱلسُّنِّيَّةُ فِي ٱلدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَحْكِيمِ ٱلْعَقْلِ،
وَإِعْمَالِ ٱلنَّظَرِ،
وَٱلتَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّةِ ٱلْأَخْبَارِ قَبْلَ قَبُولِهَا أَوْ نَقْلِهَا.

وَقَدْ وَرَدَتْ نَمَاذِجُ عَمَلِيَّة عَلَىٰ ذَلِكَ:

•سُلَيْمَانُ وَٱلْهُدْهُدُ:
حِينَ جَاءَهُ بِخَبَرٍ عَظِيمٍ عَنْ مَلِكَةِ سَبَإٍ، لَمْ يَقْبَلْهُ سُلَيْمَانُ مُبَاشَرَة، بَلْ قَالَ:
﴿**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾ ٱلنَّمْل: ٢٧
وَهَذَا قِمَّةُ ٱلتَّثَبُّتِ وَٱلتَّبَيُّنِ قَبْلَ إِصْدَارِ أَيِّ حُكْم أَوِ ٱتِّخَاذِ أَيِّ قَرَار.

•بِلْقِيسُ مَلِكَةُ سَبَإٍ:
حِينَ جَاءَهَا كِتَابُ سُلَيْمَانَ، لَمْ تَتَعَجَّلْ بِٱتِّخَاذِ قَرَار فَرْدِيّ، بَلِ ٱسْتَشَارَتْ قَوْمَهَا وَتَثَبَّتَتْ مِنْ حَقِيقَةِ ٱلْمَوْقِفِ، فَقَالَتْ:
﴿**قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ ٱلنَّمْل: ٣٢

فِي ٱلْعَقَائِدِ:
لَا يَقْبَلُ ٱلْإِسْلَامُ مِنْ أَتْبَاعِهِ ٱلْإِيمَانَ بِٱلْحَقَائِقِ ٱلْكُبْرَىٰ عَنْ طَرِيقِ ٱلتَّقْلِيدِ ٱلْأَعْمَىٰ أَوِ ٱلْوِرَاثَةِ ٱلْمُجَرَّدَةِ.
وَإِنَّمَا جَعَلَ ٱلْقُرْآنُ ٱلنَّظَرَ وَٱلتَّفَكُّرَ سَبِيلا إِلَى ٱلْيَقِينِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ مُحَمَّد: ١٩

فَٱخْتَارَ لَفْظَ "فَٱعْلَمْ" بَدَلا مِنْ "فَقُلْ"،
لِيُبَيِّنَ أَنَّ ٱلْمَطْلُوبَ لَيْسَ مُجَرَّدَ ٱلْقَوْلِ،
وَإِنَّمَا ٱلْعِلْمُ ٱلْقَائِمُ عَلَى ٱلْبُرْهَانِ.

وَدَعَا ٱلْقُرْآنُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، فَقَالَ:
﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ... لَآيَات لِّقَوْم يَعْقِلُونَ**﴾ ٱلْبَقَرَة: ١٦٤

كَمَا وَبَّخَ مَنْ يُقَلِّدُونَ آبَاءَهُمْ دُونَ بَيِّنَة،
وَأَبْرَزَ حِوَارَ إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَبِيهِ ٱلَّذِي حَثَّهُ عَلَى ٱلنَّظَرِ فِي مَعْبُودِهِ ٱلَّذِي لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ ٱلْمُسْلِمَ مَأْمُور بِأَنْ يُعْمِلَ عَقْلَهُ،
وَأَنْ يَطْلُبَ ٱلْيَقِينَ وَٱلطُّمَأْنِينَةَ،
كَمَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعُزَيْرٌ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ،
حَيْثُ سَعَوْا جَمِيعا إِلَى ٱلتَّثَبُّتِ حَتَّىٰ يَزْدَادُوا إِيمَانا وَيَقِينا.

فِي ٱلْعِبَادَاتِ
حَتَّىٰ تَكُونَ ٱلْعِبَادَةُ صَحِيحَة، لَا بُدَّ مِنَ ٱلتَّثَبُّتِ:

- **فِي ٱلطَّهَارَةِ:**

مِنْ طَهَارَةِ ٱلْمَاءِ، وَمِنْ نَوْعِ ٱلْحَدَثِ، وَمِنْ بَرَاءَةِ ٱلرَّحِمِ بِٱلْحَيْضِ.

- **فِي ٱلصَّلَاةِ:**

مِنْ دُخُولِ ٱلْوَقْتِ.
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابا مَّوْقُوتا**﴾ ٱلنِّسَاء: ١٠٣

- **فِي ٱلصَّوْمِ:**

مِنْ ثُبُوتِ ٱلْهِلَالِ.
لِقَوْلِهِ ﷺ: "**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ**". البخاري ومسلم

•**فِي ٱلزَّكَاةِ:**
مِنْ بُلُوغِ ٱلنِّصَابِ، وَدَوَرَانِ ٱلْحَوْلِ، وَمَعْرِفَةِ ٱلْمُسْتَحِقِّينَ.

وَهَكَذَا رَبَطَ ٱلْإِسْلَامُ ٱلْعِبَادَاتِ كُلَّهَا بِٱلتَّثَبُّتِ،
لِيَبْقَى ٱلْمُؤْمِنُ عَلَىٰ صِلَة صَحِيحَة بِرَبِّهِ.

خَاتِمَةٌ

ٱلتَّثَبُّتُ قَبْلَ ٱلْإِقْدَامِ عَلَىٰ أَيِّ أَمْر، **وَحَتَّىٰ قَبْلَ ٱلْكَلَامِ**،
هُوَ سِمَةُ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلصَّادِقِ، وَمَنْهَجُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلرَّشِيدِ.

وَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ:
"**وَإِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِٱلْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ ٱللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**".
الترمذي وابن ماجه

أَذَاعُوا بِهِ

كَانَ المنَافِقُونَ إِذَا غَزَتْ سَرِيَّةٌ مِنَ المسْلِمِينَ، قَالُوا:
"أَصَابَ المُسْلِمُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ كَذَا، وَأَصَابَ العَدُوُّ مِنَ المُسْلِمِينَ كَذَا وَكَذَا."
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُهُمْ بِهِ.

وَكَانَ ضُعَفَاءُ الإِيمَانِ يَسْمَعُونَ مِنْ أَفْوَاهِ المنَافِقِينَ شَيْئًا عَنِ السَّرَايا غَيْرَ مَعْلُومِ الصِّحَّةِ.
فَيُذِيعُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقُوا مِنْهُ.
فَيَعُودُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَى المؤْمِنِينَ.

فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:
"وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ." *النساء:٨٣*

وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، إِذَا سَمِعُوا خَبَرًا يَتَعَلَّقُ بِأَمْنِ المسْلِمِينَ أَوْ خَوْفِهِمْ، أَذَاعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَتِهِ.

"وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ." *النساء:٨٣*

فَلَوْ أَنَّ المنَافِقِينَ رَدُّوا الخَبَرَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَالمتَبَصِّرِينَ مِنْ أُولِي الأَمْرِ، لَكَانَ العِلْمُ حَاصِلًا عِنْدَ مَنْ يَسْتَنْبِطُ هَذِهِ الوَقَائِع.

لأَنَّ أُولِي الأَمْرِ فَرِيقَان: بَعْضُهُمْ مَنْ يَكُونُ مُسْتَنْبِطًا، وَبَعْضُهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ.
وَلَكِنْ فِي النِّهَايَةِ، يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَنْبِطُ الأَمْرَ وَيَقِفُ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

فَهَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ فِي مَطْلَعِهَا تَنْكُرُ عَلَيْهِمْ إِذَاعَةَ الأَخْبَارِ بِدُونِ تَحَقُّقٍ مِنْ صِدْقِهَا وَمِنْ فَائدَتِهَا.
"وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ." *النساء:٨٣*

وَفِي وَسَطِهَا تَأْمُرُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى حَقَائِقِ دِينِهِمْ وَإِلَى الحُكَّامِ العَادِلِينَ وَالعُلَمَاءِ المخَصَّصِينَ.
لِيَسْأَلُوهُمْ عَمَّا يُرِيدُونَ مَعْرِفَتَهُ.

"**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**." *النساء:٨٣*
وَفِي آخِرِهَا تُذَكِّرُهُمْ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِ.
حَتَّى يُدَاوِمُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَيَشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ.

"**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**." *النساء:٨٣*

أَحْكَامٌ وَآدَابٌ

وَمِنَ الأَحْكَامِ وَالآدَابِ الَّتِي أَخَذَهَا العُلَمَاءُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ:
- وُجُوبُ عَدَمِ إِذَاعَةِ الأَخْبَارِ.

خُصُوصًا فِي حَالَاتِ الحَرْبِ وَاضْطِرَابِ الأَحْوَالِ وَالفِتَنِ.
إِلَّا بَعْدَ التَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّتِهَا.
وَمِنْ عَدَمِ إِضْرَارِهَا بِمَصْلَحَةِ المسْلِمِينَ.

جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**". *صحيح مسلم*

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ المغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ "**نَهَى عَنْ القِيلِ وَالقَالِ**". *صحيح مسلم*
أَيْ: مَنْ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ.
وَلَا تَدَبُّرٍ وَلَا تَبْيِينٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:
"**مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**." *صحيح مسلم*

الإِشَاعَاتُ قَدْ تَطْعَنُ فِي أَعْظَمِ النَّاسِ مَكَانَةً

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالإِشَاعَاتُ

قَالَ تَعَالَى:-

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا " الأحزاب: ٦٩

." وَمِنْ إِيذَائِهِم لَهُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مَا رَوَاهُ الإِمَامَانُ البُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سَتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ**".

فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالُوا: مَا يَسْتُرُ هَذَا السَّتْرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ.

إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا آفَةٌ".

وَإِنَّ اللهَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا.

وَإِنَّ مُوسَى خَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ اغْتَسَلَ.

فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ.

وَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "ثَوْبِي حَجَر، ثَوْبِي حَجَر."

حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأُوهُ عَرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى.-

وَأَبْرَأَهُ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – مِمَّا يَقُولُونَ. كتب التفسير

وَاتُّهِمَ بِالسِّحْرِ وَنِيَّةِ إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ أَرْضِهِمْ:

قَالَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ:

"**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** *

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ" الشعراء: ٣٤، ٣٥

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى**﴾ طه: ٥٧

إِشَاعَاتٌ حَوْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

- اتِّهَامٌ بِالتَّحَكُّمِ وَالتَّزَعُّمِ:

قَالَ قَوْمُهُ: "**يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**" *المؤمنون: ٢٤*

أي يُرِيدُ أَنْ يَتَزَعَّمَ وَيَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

- اتِّهَامٌ بِالضَّلَالِ:

"**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**" *الأعراف: ٦٠*

- اتِّهَامٌ بِالْجُنُونِ:

"**وَقالوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ**" *القمر: ٩*

إِشَاعَاتٌ حَوْلَ هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ

- اتِّهَامٌ بِالطَّيْشِ وَالْخِفَّةِ:

"**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**" *الأعراف: ٦٦*

- اتِّهَامٌ بِاضْطِرَابِ الْعَقْلِ:

"**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**" *هود: ٥٤*

حَادِثَةُ الْإِفْكِ

بَلْ إِنَّ مَا وَاجَهَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ، هُوَ حَادِثُ الْحَادِثَاتِ فِي تَارِيخِهِ. فَلَمْ يُمْكَرْ بِالْمُسْلِمِينَ مَكْرٌ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ.

وَهِيَ مُجَرَّدُ فِرْيَةٍ وَإِشَاعَةٍ مُخْتَلَقَةٍ بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ كَذِبَهَا.
لَكِنَّهَا لَوْلَا عِنَايَةُ اللهِ لَكَانَتْ قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَعْصِفَ بِالْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ.
وَلَا تُبْقِي عَلَى نَفْسٍ مُسْتَقِرَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

وَلَقَدْ مَكَثَ مُجْتَمَعُ الْمَدِينَةِ بِأَكْمَلِهِ شَهْرًا كَامِلًا وَهُوَ يَصْطَلِي نَارَ تِلْكَ الْفِرْيَةِ.
وَيَتَعَذَّبُ بِتِلْكَ الْإِشَاعَةِ الْفَاجِرَةِ.
حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ آيَاتٍ فِي تَبْرِئَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فَكَانَ فِي ذَلِكَ دُرُوسًا تَرْبَوِيَّةً رَائِعَةً لِكُلِّ مُجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
وَصَدَقَ اللهُ: " **لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ". *النور: ١١.*

شَائِعَةُ إِسْلَامِ قُرَيْش

بَعْدَ الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الحَبَشَةِ، انْتَشَرَتْ شَائِعَةٌ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَدْ أَسْلَمُوا.
وَكَانَتْ نَتِيجَتُهَا أَنَّ عَدَدًا مِنَ المسْلِمِينَ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ.
وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ عَلِمُوا أَنَّ الخَبَرَ كَذِبٌ.
فَدَخَلَ مِنهُم مَنْ دَخَلَ، وَعَادَ مِنهُم مَنْ عَادَ.
أَمَّا الَّذِينَ دَخَلُوا فَأَصَابَهُمْ عَذَابُ قُرَيْشٍ.
وَلَقَدْ كَشَفَتِ الشَّائِعَةُ كَيْفَ أَنَّ الإِشَاعَاتِ تُؤَثِّرُ عَلَى قَرَارَاتِ النَّاسِ وَتُفَسِّدُ أُمُورَهُمْ.
وَأَنَّ التَّحَقُّقَ مِنَ الأَخْبَارِ قَبْلَ اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ هُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لِحِفْظِ الأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ.

شَائِعَةُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُد

فِي مَعْرَكَةِ أُحُد، أَشَاعَ الكُفَّارُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قُتِلَ.
فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَضُدِ كَثِيرٍ مِنَ المسْلِمِينَ.
حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ أَلْقَى السِّلَاحَ وَتَرَكَ القِتَالَ.
فَتَأَمَّلُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، تَأْثِيرَ الإِشَاعَةِ عَلَى القُلُوبِ وَالمعَارِكِ.

هَذِهِ الحادثةُ تُظْهِرُ أَنَّ الإِشَاعَةَ قَدْ تُحَطِّمُ العَزِيمَةَ وَتُفَرِّقُ الجُيُوشَ.
وَأَنَّ الثِّقَةَ بِاللَّهِ وَبِالقَائِدِ الصَّالِحِ هِيَ سَبِيلُ الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ.

شَائِعَاتٌ مُعَاصِرَةٌ

الشَّائِعَاتُ الصِّحِّيَّةُ وَالطِّبِّيَّةُ:

١. رَسَائِلُ أَوْ مَنْشُورَاتٌ تَدَّعِي وُجُودَ عِلَاجٍ سِحْرِيٍّ لِأَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ دُونَ دَلِيلٍ عِلْمِيٍّ.
٢. تَحْذِيرَاتٌ كَاذِبَةٌ حَوْلَ اللِّقَاحَاتِ أَوِ الأَدْوِيَةِ تُؤَدِّي إِلَى رَفْضِهَا.
٣. أَخْبَارٌ زَائِفَةٌ عَنْ انْتِشَارِ أَوْبِئَةٍ أَوْ أَمْرَاضٍ فِي مَنَاطِقَ مُحَدَّدَةٍ.
٤. نَصَائِحُ طِبِّيَّةٌ غَيْرُ مُثْبَتَةٍ قَدْ تُسَبِّبُ ضَرَرًا مُبَاشِرًا لِلْمَرْضَى.

الأَخْبَارُ السِّيَاسِيَّةُ الكَاذِبَةُ:

صُوَرٌ مُفَبْرَكَةٌ عَنْ احْتِجَاجَاتٍ أَوْ قَرَارَاتٍ حُكُومِيَّةٍ، لِإِثَارَةِ الفِتَنِ. كَصُورَةٌ لاحْتِجَاجٍ مُزَيَّفٍ يُرَوَّجُ لَهَا عَلَى أَنَّهَا حَدَثَتِ اليَوْمَ، فَتَتَسَبَّبُ بِخِلَافَاتٍ أَوْ تَوَتُّرٍ بَيْنَ المواطِنِينَ.

الشَّائِعَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ وَالشَّخْصِيَّةُ:

نَشْرُ فَضَائِحَ عَنْ أَشْخَاصٍ أَوْ مَشَاهِيرَ بِدُونِ تَحْقِيقٍ، بِهَدَفِ التَّشْهِيرِ أَوِ الإِضْرَارِ بِسُمْعَتِهِمْ. مِثَالُ ذلك: صُورَةٌ أَوْ فِيدْيُو مُفَبْرَكٌ لِمُعَلِّمٍ أَوْ زَمِيلٍ يُنْسَبُ لَهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ لَمْ يَحْدُث، فَتَتَأَثَّرُ حَيَاتُهُ وَمَكَانَتُهُ.

الأَخْبَارُ الاقْتِصَادِيَّةُ المُزَيَّفَةُ:

شَائِعَاتٌ عَنْ انْهِيارِ بَنْكٍ أَوْ رَفْعِ أَسْعَارٍ بِشَكْلٍ مُفَاجِئٍ لِإِثَارَةِ الذُّعْرِ بَيْنَ النَّاسِ. مِثَالُ ذلكَ: رِسَالَةٌ تَنْتَشِرُ فِي المَجْمُوعَاتِ تَقُولُ إِنَّ أَحَدَ البُنُوكِ سَيُغْلِقُ أَبْوَابَهُ اليَوْمَ، فَيَتَسَابَقُ النَّاسُ لِسَحْبِ أَمْوَالِهِمْ.

الشَّائِعَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِالفِتَنِ الطَّائِفِيَّةِ وَالمَذْهَبِيَّةِ: أَخْبَارٌ مُخْتَلَقَةٌ تُسَوَّقُ لِإِثَارَةِ الكَرَاهِيَةِ بَيْنَ جَمَاعَاتٍ أَوْ مَنَاطِقَ. كَمَقْطَعِ فِيدْيُو يُظْهِرُ أَحْدَاثًا مُزَيَّفَةً وَيَزْعُمُ أَنَّ جَمَاعَةً مُعَيَّنَةً ارْتَكَبَتِ اعْتِدَاءً، فَتَتَصَاعَدُ العَدَاوَةُ وَالفِتْنَةُ.

الفَضَائِحُ وَالأَخْبَارُ المُفَبْرَكَةُ عَنِ الكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ:

نَشْرُ أَخْبَارٍ عَنْ زَلَازِلَ أَوْ فَيَضَانَاتٍ لَمْ تَقَعْ، لِتَرْوِيعِ النَّاسِ وَخَلْقِ حَالَةٍ مِنَ الهَلَعِ.
كصُورَةُ سُيُولٍ أَوْ حَرِيقٍ يُتَدَاوَلُ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ اليَوْمَ فِي مَنْطِقَةٍ مَا،
مِمَّا يُرْبِكُ النَّاسَ وَيُثِيرُ الذُّعْرَ.

وَيُؤَكِّدُ نَاشِرُو هَذِهِ الأَخْبَارِ صِحَّتَهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْ مَصَادِرَ مُوثُوقَةٍ،
لِكَيْ يُضْفُوا عَلَيْهَا قُوَّةً وَقَبُولًا بَيْنَ النَّاسِ.

وَمُنْذُ احْتِلاَلِ العِرَاقِ دَخَلَ العَالَمُ فِي عَصْرٍ جَدِيدٍ سُمِّيَ عَصْرَ الصَّدْمَةِ وَالرُّعْبِ؛
فَأَصْبَحَتِ الأَخْبَارُ تَتْرَى عَلَيْنَا صَدْمَةً بَعْدَ أُخْرَى،
وَيَأْتِي الخَبَرُ أَحْيَانًا فَيَهُزُّ بِلَادًا بِأَكْمَلِهَا، وَيُرْبِكُ مُجْتَمَعَاتٍ وَيُثِيرُ الفِتَنَ.

وَلَيْسَ هَذَا بِبَعِيدٍ عَمَّا أَخْبَرَنَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ حَيْثُ قَالَ:
"سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ".
قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟
قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ". صحيح الجامع

وَفِي هَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ الفِتَنَ العَظِيمَةَ سَتَظْهَرُ،
وَسَيَلْتَبِسُ فِيهَا الحَقُّ بِالبَاطِلِ،
حَتَّى يَحَارَ النَّاسُ فِيمَا يَسْمَعُونَ وَيَرَوْنَ.
وَهُنَا يَتَأَكَّدُ دَوْرُ المؤْمِنِ فِي التَّثَبُّتِ وَالتَّمَسُّكِ بِالهُدَى،
وَعَدَمِ الِانْسِيَاقِ وَرَاءَ كُلِّ نَبَأٍ يَنْشُرُهُ مَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ.

مَنْهَجُ الْإِسْلَامِ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّائِعَاتِ

النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ أَظْهَرَتْ بِأَنَّ الْإِشَاعَةَ هِيَ:

الْكَذِبُ وَالِافْتِرَاءُ وَالْقَذْفُ وَالنَّمِيمَةُ،

وَالْكَذِبُ لَهُ صُوَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَوْدِيَةٌ مُتَشَعِّبَةٌ، يَجْمَعُهَا وَصْفٌ وَاحِدٌ هُوَ:

الْإِخْبَارُ بِخِلَافِ الْحَقِيقَةِ عَمْدًا.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، **وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ،**

وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ»،

قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

وَلِكَيْ لَا تُؤَثِّرَ هَذِهِ الْإِشَاعَاتُ عَلَى الْمُسْلِمِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ،

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ

لِيَتَعَامَلَ مِنْ خِلَالِهِ مَعَ الْإِشَاعَاتِ،

وَنُوجِزُ هَذَا الْمَنْهَجَ فِي أَرْبَعِ نِقَاطٍ مُسْتَنْبَطَةٍ مِنْ حَادِثَةِ الْإِفْكِ،

الَّتِي رَسَمَتْ مَنْهَجًا لِلْأُمَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَيَّةِ إِشَاعَةٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَقَبْلَ البَدْءِ فِي النِّقَاطِ،

لابُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَمْرٍ مُهِمٍّ، أَلَا وَهُوَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ العِلَاجَ لِقَضِيَّةِ الإِشَاعَةِ مِنْ خِلَالِ النَّاقِلِينَ لَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

دُونَ التَّرْكِيزِ عَلَى مَصْدَرِ الإِشَاعَةِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ مَصْدَرَ الإِشَاعَةِ قَدْ يَكُونُ:

مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ

أَوْ مِنَ الكُفَّارِ

أَوْ مِنَ الأَعْدَاءِ،

وَهَؤُلَاءِ لَا حِيلَةَ مَعَهُمْ، فَدَأْبُهُمْ نَشْرُ الإِشَاعَةِ لِإِضْعَافِ المسْلِمِينَ.

الْمَبَادِئُ الْأَرْبَعَةُ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الشَّائِعَاتِ

١. النُّقْطَةُ الْأُولَى: حُسْنُ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: " **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** " *النور: ١٢*

٢. النُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ: طَلَبُ الدَّلِيلِ وَالتَّحَقُّقِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: " **لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** " *النور: ١٣*

٣. النُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ: الِامْتِنَاعُ عَنِ النَّشْرِ:

فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِأَيَّةِ إِشَاعَةٍ، لَمَاتَتْ فِي مَهْدِهَا. قَالَ اللهُ تَعَالَى:

"**وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ". *النور: ١٦*

٤. النُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ: إِرْجَاعُ الْأَمْرِ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ:

وَلَا يُشِيعُهُ بَيْنَ النَّاسِ أَبَدًا، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ فِي كُلِّ الْأَخْبَارِ الْمُهِمَّةِ، وَالَّتِي لَهَا أَثَرُهَا الْوَاقِعِيُّ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

"**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** ". *النساء: ٨٣*

فَإِذَا حُوصِرَتِ الْإِشَاعَاتُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعِ،

فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نَتَفَادَى آثَارَهَا السَّيِّئَةَ الْمُتَرَتِّبَةَ عَلَيْهَا بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مُكَافَحَةُ الإِشَاعَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالْفَوَاحِشِ وَالأَعْرَاضِ

قَالَ تَعَالَى:

"إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ل
َهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". *النور:١٩*

فَإِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ مِنْ أَخْطَرِ الْمَعَاصِي وَالْجَرَائِمِ الَّتِي يَكْرَهُهَا الإِسْلَامُ،
وَمِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ تَمُوتَ الْفَاحِشَةُ حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ فِي مَهْدِهَا،
وَلَا يَتَحَدَّث النَّاسُ عَنْهَا.

وَلِأَنَّ جَرِيمَةَ الزِّنَا جَرِيمَةٌ خَطِيرَةٌ تُلَوِّثُ الأَعْرَاضَ، نَجِدُ أَنَّ الإِسْلَامَ شَدَّدَ فِي إِثْبَاتِهَا
وَاشْتَرَطَ لَهَا أَرْبَعَةً مِنَ الشُّهُودِ، فِي حِينِ أَنَّهُ اشْتَرَطَ شَهِيدَيْنِ فِي الْقَتْلِ.

وَقَدْ شَدَّدَ الإِسْلَامُ عَلَى خُطُورَةِ رَمْيِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ وَإِطْلَاقِ الشَّائِعَاتِ عَلَيْهِنَّ.
قَالَ تَعَالَى:

"إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ". *النور:٢٣*

وَقَدْ وَصَفَ الْقُرْآنُ هَذَا الأَمْرَ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ يَمَسُّ حَيَاةَ الأُسَرِ،
وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الأَمْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
"يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" *النور:١٧*
فَالْمُؤْمِنُونَ لَا يُرَوِّجُ لَدَيْهِمْ هَذَا الأَمْرُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَوِّجُوا الْفَاحِشَةَ فِي الْمُجْتَمَعِ.

فَالإِسْلَامَ حَافَظَ عَلَى الأَعْرَاضِ بِحَدِّ الْقَذْفِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ عُقُوبَاتٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ:
الأُولَى بَدَنِيَّةٌ:" فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً". *النور:٤*
وَالثَّانِيَةُ عُقُوبَةٌ أَدَبِيَّةٌ وَهِيَ إِسْقَاطُ الشَّهَادَةِ :**"وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا"** *النور:٤*
وَالثَّالِثَةُ عُقُوبَةٌ دِينِيَّةٌ وَهِيَ رَمْيُهُمْ بِالْفِسْقِ :**"وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"** *النور:٤*

مُكَافَحَةُ الإِشَاعَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالأَفْرَادِ

وَأَمَّا الإِشَاعَةُ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ الأَفْرَادَ فَيَكْفِينَا أَنْ نَتَأَمَّلَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ:

"مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً يُشِينُهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." *الطبراني*

وَقَالَ ﷺ:

"وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ."

أحمد وأبو داود

وَذَلِكَ لِحُرْمَةِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.
فَاغْتِيَالُ السُّمْعَةِ أَخْطَرُ مِنْ اغْتِيَالِ الْجَسَدِ.
كَاتِّهَامِ شَخْصٍ بِالْعَمَالَةِ للعدو أَوْ اتِّهَامِ امْرَأَةٍ بِأَخْلَاقِهَا.
فَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَإِنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِهِ فَكَأَنَّهُ أَسَاءَ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ.

وَالأَصلُ فِي الشَّائِعَاتِ أَنْ يُرَجَّعَ الأَمْرُ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ أَوِ الْجِهَاتِ الْمُخْتَصَّة،
مِثْلَ الْبَلَدِيَّةِ، وَالشرطة، وَالهيئات القضائية، لِتَصْحِيحِ الْمَعْلُومَاتِ
وَاتِّخَاذِ الإِجْرَاءاتِ الرَّسْمِيَّةِ.

وَكذلِك الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَفْرَادِ أَوْ الْجَمَاعَاتِ هُوَ **اللُّجُوءُ إِلَى أُولِي الأَمْرِ** أَوْ مَنْ يَمْلِكُ السُّلْطَةَ فِي تَصْحِيحِهَا.

الخُطُواتُ العَمَليَّةُ لِلتَّعامُلِ مَعَ الإشَاعَاتِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ النِّسَاءِ: ٨٣

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْجِيهٌ عَظِيمٌ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُجْتَمَعَ يَحْفَظُ أَمْنَهُ وَيَتَجَنَّبُ الْفِتْنَةَ إِذَا رَدَّ الْأُمُورَ الْمُشْكِلَةَ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ وَالِاخْتِصَاصِ.

فِي نِطَاقِ الأُسْرَةِ:

عِندَ انتِشَارِ إِشَاعَةٍ عَنْ أَحَدِ أَفْرَادِ العَائِلَةِ،

يُرْجَعُ الأَمْرُ إِلَى الوَالِدِ أَوْ وَلِيّ الأَمْرِ،

لَا إِلَى تَدَاوُلِهَا بَيْنَ الأَقَارِبِ أَوِ الجِيرَانِ.

فِي نِطَاقِ المُجتَمَعِ:

إِذَا انتَشَرَتْ إِشَاعَةٌ عَنْ شَخصِيَّةٍ عَامَّةٍ أَوْ مَسؤولٍ،

فَالمَوقِفُ الصَّحِيحُ هُوَ انتِظَارُ بَيَانٍ رَسمِيٍّ مِنَ الجِهَةِ المختَصَّةِ،

كَالمحكَمَةِ أَوِ المؤَسَّسَةِ،

لَا نَشرُ الخَبَرِ بَيْنَ النَّاسِ.

فِي الإِعلَامِ:

عَلَى الصَّحَافَةِ وَوَسَائِلِ الإِعلَامِ الاِلتِزَامُ بِقَاعِدَةِ "المَصدَرِ الموثُوقِ."

فَلَا تَنشُرُ خَبَرًا إِلَّا بَعدَ صُدُورِ تَصرِيحٍ رَسمِيٍّ،

وَإِلَّا فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الإِشَاعَةِ.

فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاِجتِمَاعِيّ:

الوَاجِبُ عَلَى المسلِمِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ إِعَادَةِ الإِرسَالِ أَوِ النَّشرِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ،

وَأَنْ يَترُكَ التَّصْحِيحَ وَالبَيَانَ لِلمَصَادِرِ الرَّسمِيَّةِ.

- التَّكْذِيبُ الْمُؤَثِّرُ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ مُوثُوقَةٍ:

إِذَا كَانَتِ الْإِشَاعَةُ قَدِ انْتَشَرَتْ بِشَكْلٍ وَاسِعٍ،

فَيُسْتَحْسَنُ أَنْ يَتَصَدَّى لَهَا أَشْخَاصٌ مُوثُوقُونَ، لَهُمْ مَكَانَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ أَوْ عِلْمِيَّةٌ أَوْ دِينِيَّةٌ،

فَيُعْلِنُونَ بِوُضُوحٍ بُطْلَانَهَا،

كَمَا كَانَ يَفْعَلُ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ كَانَ يُكَذِّبُ بِنَفْسِهِ مَا يُرَوِّجُهُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُنَافِقُونَ.

هَذَا الْأُسْلُوبُ يُمْنَحُ التَّكْذِيبَ قُوَّةً وَوَزْنًا،

وَيُعِيدُ الطُّمَأْنِينَةَ إِلَى الْمُجْتَمَعِ،

وَيُحْبِطُ مُحَاوَلَاتِ مُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ.

- الظُّهُورُ بِالْحَقِيقَةِ إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ:

فَقَدْ يَقْتَضِي الْأَمْرُ أَحْيَانًا أَنْ يُبَادِرَ الشَّخْصُ الْمُتَضَرِّرُ نَفْسُهُ بِالظُّهُورِ الْعَلَنِيِّ

لِتَفْنِيدِ الشَّائِعَةِ، وَإِظْهَارِ الْحَقِيقَةِ بِجَلَاءٍ،

كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ عِنْدَمَا أُشِيعَ خَبَرُ اسْتِشْهَادِهِ،

فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، فَأَبْطَلَ الشَّائِعَةَ مِنْ أَسَاسِهَا.

هَذَا الْمَوْقِفُ يُرْسِي مَبْدَأً مُهِمًّا، وَهُوَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ النَّاصِعَةَ تُسْقِطُ الْبَاطِلَ،

وَأَنَّ الْمُوَاجَهَةَ الْمُبَاشِرَةَ أَبْلَغُ فِي إِحْبَاطِ الشَّائِعَاتِ مِنْ مُجَرَّدِ الصَّمْتِ.

ولكن يبقى التَّعَامُلُ مَعَ الشَّائِعَاتِ فِي أَوْقَاتِ الْقَلَاقِلِ،

وفِي أَزْمِنَةِ الِاضْطِرَابَاتِ وَالْحُرُوبِ،

بِالتَّثَبُّتِ قَبْلَ نَشْرِ أَيِّ خَبَرٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ الحجرات: ٦

وَفِي وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ، وَخُصُوصًا فِي أَزْمِنَةِ الْفِتَنِ أَوِ الْحُرُوبِ الإِلِكْتْرُونِيَّةِ وَالْحَرْبِ الإِعْلَامِيَّةِ،

يَجِبُ عَلَى الْأَفْرَادِ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِالْوَعْيِ وَالْحَذَرِ، وَأَلَّا يَكُونُوا أَدَاةً لِتَرْوِيجِ الشَّائِعَاتِ

الَّتِي تُسَاهِمُ فِي إِضْعَافِ الْمُجْتَمَعِ وَالنَّيْلِ مِنْ صُمُودِهِ.

فَفِي عَصْرِنَا الرَّقْمِيّ، أَصْبَحَتِ الشَّائِعَاتُ تَنْتَشِرُ فِي ثَوَانٍ مَحْدُودَةٍ عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ أَثَرُهَا أَخْطَرَ مِنْ أَسْلِحَةٍ مُدَمِّرَةٍ.

وَتَطْبِيقًا لِتَوْجِيهِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، فَإِنَّهُ يَجِبُ الِتِزَامُ الْقَوَاعِدِ التَّالِيَةِ:

١. **عَدَمُ تَصْدِيقِ أَيِّ خَبَرٍ** دُونَ مَرْجِعٍ رَسْمِيٍّ أَوْ مَصْدَرٍ مُعْتَمَدٍ.
٢. **الْبَحْثُ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْمَرْجِعِ الْعِلْمِيِّ** أَوِ الْوَثِيقَةِ الْمُعْتَبَرَةِ قَبْلَ مُشَارَكَةِ الْخَبَرِ.
٣. **الِامْتِنَاعُ عَنْ إِعَادَةِ النَّشْرِ أَوِ التَّعْلِيقِ** الَّذِي يُسَاهِمُ فِي نَشْرِ الشَّائِعَةِ، فَإِنَّ الْمُسَاهَمَةَ فِي تَرْوِيجِهَا دُونَ قَصْدٍ تُعْتَبَرُ شِرْكًا فِي الإِثْمِ.
٤. **اللُّجُوءُ إِلَى أُولِي الأَمْرِ أَوِ الْجِهَاتِ الِاخْتِصَاصِيَّةِ** لِلتَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّةِ الْمَعْلُومَاتِ، كَمَا يَحْدُثُ فِي الشَّائِعَاتِ الصِّحِّيَّةِ أَوِ الأَمْنِيَّةِ.

وَبِهَذَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ **الْعِبَادَةِ وَالْوَعْيِ**، وَحَمَى نَفْسَهُ وَمُجْتَمَعَهُ مِنْ آفَةٍ تُعَدُّ مِنْ أَكْبَرِ أَسْلِحَةِ **الْحَرْبِ النَّاعِمَةِ**.

خُلاصةُ الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيّ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّائِعَاتِ

١. التَّحَلِّي بِحُسْنِ الظَّنِّ:

قال تعالى:

"لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا " *النور: ١٢*

٢. طَلَبُ الدَّلِيلِ وَالتَّثَبُّتُ مِنَ الْأَخْبَارِ:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا " *الحجرات: ٦.*

٣. الِامْتِنَاعُ عَنْ نَشْرِ الشَّائِعَاتِ:

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ "

النور: ١٦

٤. إِحَالَةُ الْأُمُورِ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ أَوِ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ:

" وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ "

النساء: ٨٣

٥. تَجَنُّبُ نَشْرِ مَا يَمَسُّ أَعْرَاضَ النَّاسِ أَوْ يُشِيعُ الْفَاحِشَةَ:

" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " *النور: ١٩*

٦. إِدْرَاكُ خُطُورَةِ الشَّائِعَاتِ فِي أَوْقَاتِ الْقَلَاقِلِ وَالْحُرُوبِ:

كَمَا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ عِنْدَ إِشَاعَةِ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧. الِالْتِزَامُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ضِدَّ الْقَذْفِ وَالْبُهْتَانِ وَالنَّمِيمَةِ:

" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ..."

النور: ٤ .

الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فِي الإِشَاعَةِ

إِنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ فِي الإِشَاعَةِ هُوَ عَدَمُ جَوَازِ نَشْرِهَا وَتَرْوِيجِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، لِحُرْمَةِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

وَلِأَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ أَظْهَرَتْ بِأَنَّ الإِشَاعَةَ هِيَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ وَقَذْفٌ وَنَمِيمَةٌ، فَلِذَلِكَ فَالأَصْلُ فِي الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَكُونَ كَذَّابًا، وَلَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ.
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

" **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ**". *النحل:١٠٥*

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ الأَكَاذِيبَ.
وَمِثْلُهُمْ أَيْضًا الْمُنَافِقُونَ، قَالَ ﷺ:
"**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**." *البخاري ومسلم*

وَأَخْطَرُ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُشِيعَ هَذِهِ الْكَذْبَةَ وَيُرَوِّجَهَا بَيْنَ النَّاسِ.
وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ أُذُنًا تَسْمَعُ وَتُذِيعُ كُلَّ مَا تَسْمَعُ، فَالتَّبَيُّنُ وَالتَّثَبُّتُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي أَيِّ قَضِيَّةٍ.

الْعُقُوبَةُ التَّعْزِيرِيَّةُ لِناشِرِي وَمُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ

يَحُثُّ الشَّرْعُ عَلَى وَقْفِ الشَّائِعَاتِ وَمُعَاقَبَةِ مَن يُسِيءُ استخدامها لنشر الفتنة أو الضرر بالآخرين.
وَيَجُوزُ لِلْحاكِمِ أَوْ أُولِي الْأَمْرِ أَنْ يَتَّخِذُوا عُقُوبَاتٍ تَعْزِيرِيَّةً تُنَاسِبُ خُطُورَةَ الفِعْلِ،
وَالَّتِي تَكْفِلُ حِمَايَةَ المجْتَمَعِ.

أَنْوَاعُ الْعُقُوبَةِ التَّعْزِيرِيَّةِ:

- التحذير أَوِ اللَّوْمُ :فِي الْحَالَاتِ الْبَسِيطَةِ أَوْ غَيْرِ الْمُتَكَرِّرَةِ.
- الْغَرَامَةُ الْمَالِيَّةُ أَوِ التَّعْوِيضُ :إِذَا سَبَّبَ نَشْرُ الإِشَاعَةِ ضَرَرًا مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا لِلآخَرِينَ.
- السِّجْنُ أَوِ الْحَبْسُ :فِي حَالَاتِ الشَّائِعَاتِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تَهَدِّدُ الْأَمْنَ الْعَامّ أَوْ سُمْعَةَ الْأَفْرَادِ.
- إِجْرَاءَاتٌ أُخْرَى :مِثْلُ مَنْعِ الشَّخْصِ مِنْ مُمارَسَةِ مَنْصِبٍ مُعَيَّنٍ أَوْ نَشَاطٍ إِعْلَامِيّ لِفَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ.

باختصار،

الْعُقُوبَةُ التَّعْزِيرِيَّةُ مُرِنَةٌ وَتَهْدِفُ إِلَى حِمَايَةِ الْمُجتَمَعِ وَرَدْعِ الْمُفْسِدِينَ، وَتَخْتَلِفُ حَسَبَ خُطُورَةِ الشَّائِعَةِ وَتَأْثِيرِهَا.

فَبَيْنَ الماضِي وَالحاضِرِ، تَبقَى الإِشَاعَةُ ظَاهِرَةً إِنسَانِيَّةً.
وَاجْتِمَاعِيَّةً مُتَجَذِّرَةً.
تَخْتَلِفُ وَسَائِلُهَا.
وَتَتَبَدَّلُ أَدَوَاتُهَا.
وَلَكِنْ غَايَتُهَا وَاحِدَةٌ:
التَّأْثِيرُ فِي العُقُولِ.
وَتَوْجِيهُ السُّلُوكِ.

مِنْ هُنَا تَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ الوَعْيِ وَالنَّقدِ.
وَالتَّحَقُّقِ مِنْ مَصَادِرِ الأَخْبَارِ.
فَالعَقلُ الوَاعِي هُوَ الحِصْنُ الحَقِيقِيُّ فِي مُوَاجَهَةِ الإِشَاعَةِ.
فِي الحاضرِ كَثِيرًا مِنْ دُوَلِ العَالَمِ تُسَخِّرُ وَحَدَاتٍ خَاصَّةً فِي أَجْهِزَةِ اِسْتِخْبَارَاتِهَا.
لِرَصْدِ وَتَحْلِيلِ مَا يُبَثُّ وَيُنْشَرُ مِنْ إِشَاعَاتٍ فِي دُوَلِهَا.
لِيَبْنُوا عَلَيْهَا تَوَقُّعَاتِهِمْ لِلْأَحْدَاثِ.
وَعَلَى كَافَّةِ المسْتَوَيَاتِ المحَلِّيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: بَيْنَ الْأَخْلَاقِ وَالآثَامِ

السُّلُوكُ الْأَخْلَاقِيُّ عَلَى الْإِنْتَرْنِت

بِمُجَرَّدِ أَنْ نَعْلَمَ الرَّقْمَ الْمُخِيفَ لِلأَسْماءِ الْوَهْمِيَّةِ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ،
نَكْتَشِفُ بِسُهُولَةٍ تَرَاجُعَ الْمَفْهُومِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي الْمُجْتَمَعِ الرَّقْمِيِّ.

مِلْيُونَاتُ الْمُسْتَخْدِمِينَ يُمَارِسُونَ ، نَشْرَ الْأَكَاذِيبِ، النِّقَاشَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ،
وَتَرْوِيجَ الْأَخْبَارِ الْمُلْفَقَةِ،
سَوَاءً بِأَسْمَاءٍ مُسْتَعَارَةٍ أَوْ صَرِيحَةٍ.

فالْإِنْتَرْنِتُ سَاهَمَتْ فِي تَرَاجُعِ الرَّادِعِ الْأَخْلَاقِيِّ رَغْمَ خَدَمَاتِهَا الْكَبِيرَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ.

وهَيْمَنَةُ "جُيُوشٍ مِنَ الجَهَلَةِ وَالْحَمْقَى" عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ تَجْعَلُ النِّقَاشَ الْجَادَّ وَتَبَادُلَ الْمَعْلُومَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ أَمْرًا صَعْبًا.

وقد أَظْهَرَتْ تَجْرِبَةُ نِظَامِ "دِلْفِي" لِإِصْدَارِ أَحْكَامٍ أَخْلَاقِيَّةٍ العَدِيدَ مَنَ التَنَاقُضَات؛
أَحْيَانًا يُجِيزُ قَتْلَ شَخْصٍ لِإِنْقَاذِ مِئَةٍ، وَأَحْيَانًا يَرْفُضُ قَتْلَ شَخْصٍ لِإِنْقَاذِ ١٠١،
مَعَ إِصْدَارِ أَحْكَامٍ مُثِيرَةٍ لِلْجَدَلِ فِي مَوَاقِفَ حَسَّاسَةٍ أُخْرَى.

هَذِهِ التَّنَاقُضَاتُ تَكْشِفُ صُعُوبَةَ وَضْعِ مَعَايِيرَ أَخْلَاقِيَّةٍ ثَابِتَةٍ يُمْكِنُ لِلذَّكَاءِ الاصْطِنَاعِيِّ الِالْتِزَامُ بِهَا، خُصُوصًا فِي الْقَضَايَا الْمُعَقَّدَةِ الَّتِي يَنْقَسِمُ حَوْلَهَا الْبَشَرُ أَنْفُسُهُمْ.

مِمَّا يَجْعَلُ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَضْعَ مَدُونَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا لِتَنْظِيمِ عِلَاقَةِ الْبَشَرِ بِالْإِنْتَرْنِتِ وَالذَّكَاءِ الِاصْطِنَاعِيِّ.

فَتَعْرِيفُ الْمَفَاهِيمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مَا زَالَ مُعَقَّدًا وَيَصْعُبُ الْاِتِّفَاقُ عَلَيْهِ ،
فَكَيْفَ وَالحَالُ أنَّ الْقِيَمَ الْأَخْلَاقِيَّةَ لِأَيِّ نِظَامٍ تِكْنُولُوجِيٍّ تَعْكِسُ بِالضَّرُورَةِ قِيَمَ صَانِعِيهِ؟
فَمَنْ الْمَسْؤُولُ عَنْ تَعْلِيمِ الْآلَاتِ الْأَخْلَاقَ؟
فَتَطْوِيرُ آلَةٍ لِتَحْدِيدِ الْأَخْلَاقِ أَمْرٌ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ،
لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ مُرْتَبِطَةٌ بِالْعَاطِفَةِ بَيْنَمَا الْآلَةُ تَفْتَقِرُ لَهَا تَمَامًا.

الأَخْلاقُ انْعِكَاسُ الدِّينِ فِي عَالَمِ التِّقْنِيَّةِ

إِذَا كَانَ الخُلُقُ جُزْءًا مِنَ الدِّينِ، فَإِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الآخَرِينَ عَبْرَ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ يَدْخُلُ فِي صُلْبِ هَذَا البَابِ.
فَالْيَوْمَ لَمْ تَعُدِ الأَخْلَاقُ تُخْتَبَرُ فَقَطْ فِي الأَسْوَاقِ وَالْمَجَالِسِ،
بَلْ تُخْتَبَرُ كَذَلِكَ فِي التَّعْلِيقَاتِ وَالمَنْشُورَاتِ وَالصُّوَرِ وَالفِيدْيُوهَاتِ.

- فَمَنْ يَكْتُبْ تَعْلِيقًا جَارِحًا أَوْ يَسْخَرْ مِنْ صُورَةِ شَخْصٍ...
أَلَيْسَ قَدِ اعْتَدَى عَلَى حُرْمَةِ أَخِيهِ المسْلِمِ بِلِسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ عَبْرَ لَوْحَةِ مَفَاتِيح؟
- وَمَنْ يُشَارِكْ إِشَاعَةً أَوْ صُورَةً مُحْرِجَةً أَوْ مَقْطَعًا خَاصًّا... أَلَيْسَ قَدْ خَانَ الأَمَانَةَ؟

قَالَ ﷺ :"**أَلا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**". أخرجه أحمد
وَالْيَوْمَ يَظْهَرُ صِدْقُ هَذَا الحَدِيثِ فِي بِيئَةِ التَّوَاصُلِ الرَّقْمِيِّ؛ فَمَنْ لَا يَحْفَظْ سِرَّ النَّاسِ وَلَا أَعْرَاضَهُمْ، كَيْفَ يَدَّعِي الأَمَانَةَ؟

البَحْرُ العَذْبُ وَالمِلْحُ فِي الفَضَاءِ الرَّقْمِيّ

قَالَ تَعَالَى:" **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**.." فاطر: ١٢
هذِهِ الآيَةُ تَضرِبُ مَثَلًا لِلمُؤمِنِ وَالكافِرِ: فَالمؤمِنُ كَالماءِ العَذبِ، وَالكافِرُ كَالماءِ المِلحِ؛
لا يَتَساوَيانِ في حَقيقَتِهِما وَإِنِ اشتَرَكا في بَعضِ الصِّفاتِ،
لِأَنَّ المؤمِنَ أخلَصَ العِبادَةَ لِلَّهِ، وَالكافِرُ أعرَضَ عَنِ الحَقِّ ،
فَكَذَلِكَ فِي عَالَمِ التِّقْنِيَّةِ:

- هُنَاكَ مَنْ يَسْتَعْمِلُ هَاتِفَهُ لِلْخَيْرِ:
نَشْرِ العِلْمِ، تَذْكِيرٍ بِالآخِرَةِ، إِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ الآخَرِينَ.
- وَهُنَاكَ مَنْ يَجْعَلُهُ بَحْرًا مِلْحًا أُجَاجًا: نَشْرَ فَضَائِحَ، سَبًّا، غِيبَةً، تَتَبُّعَ عَوْرَاتٍ...

وَلَا يَسْتَوِيَانِ. قَالَ تَعَالَى:
" **قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ** ". المائدة: ١٠٠

تَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ لِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ عَلَى وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ

- **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** :إِذَا جَاءَكَ تَعْلِيقٌ مُسِيءٌ، فَلَا تَرُدَّ بِالسَّبِّ، بَلْ بِالصَّبْرِ أَوِ الحَذْفِ أَوِ الدُّعَاءِ بِالهِدَايَةِ.
- **قال تعالى: " "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..."** *البقرة: ٨٣*

وهذا يَتَضَمّنُ النَّهْيَ عَنِ الكَلَامِ القَبِيحِ لِلنَّاسِ حَتَّى لِلكُفَّارِ

- **أَن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ** :لَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ أَوْ أَصْدِقَاءَكَ لِمُجَرَّدِ خِلَافٍ رَقْمِيٍّ، فَالأَصْلُ الصِّلَةُ لَا القَطِيعَةُ.
- **مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ** :إِذَا وَصَلَكَ مَقْطَعٌ أَوْ صُورَةٌ تَخُصُّ شَخْصًا، فَأَوْقِفْهَا عِنْدَكَ. لَا تَكُنْ سَبَبًا فِي فَضِيحَتِهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **"مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ"**. *الترمذي*
فَكَيْفَ بِنَا إِذَا كَانَتْ حَسَنَاتُنَا أَوْ سَيِّئَاتُنَا اليَوْمَ تُكْتَبُ مِنْ تَعْلِيقَاتِنَا، صُوَرِنَا، مَقَاطِعِنَا، مُشَارَكَاتِنَا؟

- مَنْ نَشَرَ خَيْرًا أَوْ كَلِمَةً طَيِّبَةً، جَرَى لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا.
- وَمَنْ نَشَرَ سُوءًا أَوْ إِشَاعَةً، حَمَلَ وِزْرَهَا وَوِزْرَ مَنْ تَنَاقَلَهَا.

فَلْيَكُنْ مِيزَانُنَا الْيَوْمَ تَعْلِيقًا طَيِّبًا،
وَمُشَارَكَةً نَافِعَةً، وَصَوْتًا صَادِقًا، وَفِيدْيُوَ آمِنًا،
وَأَدَاةً تَرْفَعُنَا عِنْدَ اللَّهِ، لَا تُحْبِطُنَا بِخَطِيئَةٍ أَوْ ظُلْمٍ لِلْآخَرِينَ.

وَهُنَا لابُدَّ أَنْ يُدْرِكَ هَذَا الْإِنْسَانُ الرَّقْمِيُّ جَيِّدًا مَقُولَةَ **ابْنِ الْقَيِّمِ**:
"فَلَا تُقَدِّمْ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ تَطْلُبُ مِنْهُ مَا تُحِبُّ."

تَلْخِيصٌ لِلآثَامِ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيّ:

١ .نَشْرُ الشَّائِعَاتِ وَالأَكَاذِيبِ

مِثَال: إِعَادَةُ إِرْسَالِ خَبَرٍ كَاذِبٍ عَن شَخْصٍ أَوْ حَدَثٍ دُونَ التَّحَقُّقِ.

قَالَ تَعَالَى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**" *الحجرات: ٦*

٢ .الغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ

مِثَال: التَّحَدُّثُ عَنْ زَمِيلٍ أَوْ صَدِيقٍ فِي مَجْمُوعَةٍ خَاصَّةٍ بِمَا يَكْرَهُهُ.

قَالَ تَعَالَى: "**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**" *الحجرات: ١٢*

٣ .الخَوْضُ فِي الأَعْرَاضِ

مِثَال: التَّشْهِيرُ بِامْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ مِنْ خِلَالِ مُقَطَّعٍ أَوْ صُورَةٍ.

قَالَ تَعَالَى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" *النور: ١٩*

٤ .السَّبُّ وَالتَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ

مِثَال: كِتَابَةُ تَعْلِيقٍ جَارِحٍ أَوْ إِطْلَاقُ لَقَبٍ سَاخِرٍ عَلَى شَخْصٍ.

قَالَ تَعَالَى: "**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**" *الحجرات: ١١*

٥ .تَضْيِيعُ الأَوْقَاتِ

مِثَال: قَضاءُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ فِي التَّصَفُّحِ بِلَا فَائِدَةٍ تُذْهِبُ بَرَكَةَ الْعُمْرِ.

قَالَ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**» *البخاري*

٦ .إِظْهَارُ الْمَعَاصِي وَالْمُجَاهَرَةُ بِهَا

مِثَال: نَشْرُ صُوَرٍ مِنْ حَفْلَةٍ مُحَرَّمَةٍ أَوْ مُشَارَكَةُ مُقَاطِعَ مُوسِيقِيَّةٍ فَاسِدَةٍ.

قَالَ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**» *متفق عليه*

٧ .الْمِرَاءُ وَالجِدَالُ الْعَقِيمُ

مِثَال: الدُّخُولُ فِي نِقَاشَاتٍ حَادَّةٍ عَلَى التَّعْلِيقَاتِ تَنْتَهِي بِالْعَدَاوَةِ.

قَالَ ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**» *الترمذي.*

٨ .التَّشَبُّهُ بِأَهْلِ الْبَاطِلِ

مِثَال: تَقْلِيدُ مَشَاهِيرِ الْفُسُوقِ فِي اللِّبَاسِ أَوِ السُّلُوكِيَّاتِ عَبْرَ الْمَنَصَّاتِ.

قَالَ ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» *أبو داود*

٩ .الْكِذْبُ لأَجْلِ الشُّهْرَةِ وَزِيَادَةِ الْمُتَابِعِينَ

مِثَال: نَشْرُ قِصَّةٍ مُخْتَلَقَةٍ أَوْ فِيدْيُو مُفَبَّرَكٍ لِجَذْبِ الانْتِبَاهِ.

قَالَ ﷺ:

«**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**» *أبو داود*

١٠ .مُشَارَكَةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ

مِثَال: إِرْسَالُ صُوَرٍ أَوْ مُقَاطِعَ غَيْرِ لَائِقَةٍ، أَوِ الانْضِمَامُ لِمَجْمُوعَاتٍ هَدَفُهَا الاسْتِهْزَاءُ بِالدِّينِ.

قَالَ ﷺ: "**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ... وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَكَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ**". *أخرجه مسلم*

١١ .الغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالتَّشْهِيرُ

مِثَال: ذِكْرُ النَّاسِ بِسُوءٍ فِي التَّعْلِيقَاتِ أَوِ الرَّسَائِلِ الْخَاصَّةِ، فَضْحُ الْأَسْرَارِ وَنَشْرُ الْفَضَائِحِ.

قَالَ ﷺ: "**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**". *صحيح مسلم*

١٢ .الْاحْتِيَالُ وَالتَّدْلِيسُ

مِثَال: انْتِحَالُ الشَّخْصِيَّاتِ أَوِ الْكِذْبُ بِادِّعَاءِ مَنَاصِبَ أَوْ صِفَاتٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، خِدَاعُ الآخَرِينَ لِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ.

١٣ .الْعَلَاقَاتُ الْمَالِيَّةُ الْمُحَرَّمَةُ

مِثَال: الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَقَامَرَاتِ، التَّسْوِيقُ لِلرِّبَا أَوِ الْمُنْتَجَاتِ الْمُحَرَّمَةِ.

١٤ .إِضَاعَةُ الْأَوْقَاتِ فِيمَا لَا يُنْفَعُ

مِثَال: السَّهَرُ الطَّوِيلُ فِي مُحَادَثَاتٍ عَابِثَةٍ أَوِ الانْشِغَالُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

التَّوَاصُلُ الْمُحَرَّمُ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ

التَّوَاصُلُ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ بِلَا ضَوَابِطٍ:
كَالْمُحَادَثَاتُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مِزَاحٍ أَوْ كَلَامٍ لَيِّنٍ.
قَالَ تَعَالَى:
"فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" الأحزاب: ٣٢
لِسَدِّ الذَّرَائِعِ وَحِمَايَةِ الرِّجَالِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَضَعَ الْفُقَهَاءُ ضَوَابِطَ لِلتَّوَاصُلِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ، فَيُصْبِحُ جَائِزًا إِذَا تَوَفَّرَتْ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يُحَرَّمُ.

وَضَوَابِطُهُ:

- مَنْعُ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ.
- عَدَمُ التَّلَذُّذِ بِصَوْتِ الْجِنْسِ الآخَرِ.
- الْكَلَامُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ.
- التَّحَلِّي بِالْحَشْمَةِ وَاحْتِرَامُ الضَّوَابِطِ.

وَيُعْتَبَرُ التَّوَاصُلُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْعَامَّةِ أَقَلَّ شُبْهَةً مِنَ التَّوَاصُلِ الْخَاصِّ، وَلَكِنَّهُ غَالِبًا يُؤَدِّي إِلَى الْحِوَارِ الْخَاصِّ.

وَيُذْكَرُ أَنَّ سَدَّ الذَّرَائِعِ إِلَى الْحَرَامِ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ فِي الْإِسْلَامِ،
وَبِاخْتِصَارٍ فَهُوَ الْخُطْوَةُ الْوِقَائِيَّةُ، وَمَا بَعْدَهُ هُوَ التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ وَالِالْتِزَامُ بِالْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ لِضَمَانِ حِمَايَةِ النَّفْسِ وَالْمُجْتَمَعِ مِنَ الْفِتْنَةِ.
ذُكِرَ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ:
"مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ". البخاري،ومسلم

كَشْفُ العَوْرَاتِ فِي الفَضَاءِ الرَّقْمِيّ

١. **نَشْرُ صُوَرٍ أَوْ مُقَاطِعَ مُخِلَّةٍ**

• إِظْهَارُ الجَسَدِ أَوْ جُزْءٍ مِنهُ مِمَّا يَجِبُ سَتْرُهُ، سَوَاءٌ لِلرِّجَالِ أَوِ النِّسَاءِ.

٢. **المُكَالَمَاتُ المَرْئِيَّةُ الخَاصَّةُ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ**

• وَمَا يَتْبَعُهَا مِن تَبَادُلِ صُوَرٍ أَوْ مُقَاطِعَ شَخْصِيَّةٍ.

٣. **نَشْرُ صُوَرِ الأَطْفَالِ أَوِ النِّسَاءِ فِي أَوْضَاعٍ لَا تَلِيقُ**

• وَهُوَ مِن تَضْيِيعِ الأَمَانَةِ وَالسِّتْرِ.

٤. **التَّصْوِيرُ الخَفِيُّ أَوِ الاخْتِرَاقُ ثُمَّ فَضْحُ النَّاسِ**

• بِنَشْرِ صُوَرِهِمُ الخَاصَّةِ، وَهَذَا يَدْخُلُ فِي التَّجَسُّسِ وَالغِيبَةِ وَالبُهْتَانِ.

الحُكْمُ الشَّرْعِيُّ

• قَالَ ﷺ: "**لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا تَنْظُرُ المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ**" *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

• وَقَالَ ﷺ: "**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.**" *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

• وَكُلُّ كَشْفٍ لِلْعَوْرَاتِ أَوْ نَشْرٍ لَهَا عَلَى المَنَصَّاتِ يَدْخُلُ فِي الفَاحِشَةِ وَهَتْكِ السِّتْرِ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِنَ الكَبَائِرِ.

قَاعِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ جَامِعَةٌ

قَالَ ﷺ: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**" *متفق عليه*

فَكَمَا نَحْرِصُ عَلَى سَتْرِ العَوْرَاتِ فِي البُيُوتِ، يَجِبُ أَنْ نَحْفَظَهَا فِي الأَجْهِزَةِ وَالهَوَاتِفِ وَالشَّبَكَاتِ، فَالفَضِيحَةُ الرَّقْمِيَّةُ قَدْ تَكُونُ أَشَدَّ مِن فَضِيحَةٍ عَابِرَةٍ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ.

خَاتِمَةٌ

يَقُولُ تَعالى:

"وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ" الحديد: ١٤

فَالْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ فِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيّ يُعَرِّضُونَ أَنفُسَهُمْ لِلْفِتَنِ:

عَبْرَ الِانْغِمَاسِ فِي الْمُحْتَوَى غَيْرِ اللَّائِقِ

وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الَّتِي تُشْغِلُهُمْ عَنِ الْغَايَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلْحَيَاةِ،

وَيُؤَجِّلُونَ التَّوْبَةَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ بِحُجَّةِ الِانْشِغَالِ

أَوِ انْتِظَارِ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ،

فَتُسَيْطِرُ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَاتُ الْمُنْتَشِرَةُ عَبْرَ الْمَنَصَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ

فَيَرْتَابُونَ فِي الْحَقَائِقِ وَالْقِيَمِ،

وَتُغْرِيهِمُ الْأَمَانِيُّ الْكَاذِبَةُ الَّتِي تَعِدُهُمْ بِالشُّهْرَةِ أَوِ الثَّرْوَةِ السَّرِيعَةِ

حَتَّى يَغْفَلُوا عَنْ مَصِيرِهِمْ،

وَيَخْدَعُهُمُ الشَّيْطَانُ بِالْأَمْنِ الْكَاذِبِ وَطُولِ الْأَمَلِ،

حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ بَغْتَةً فَيُدْرِكُوا أَنَّهُمُ انْشَغَلُوا بِالدُّنْيَا وَنَسُوا الْآخِرَةَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ فِتَنِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا،

وَقِنَا فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ وَمَا يُلْهِينَا عَنْ ذِكْرِكَ ،

وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ فِي طَاعَتِكَ،

وَيَعْمَلُونَ لِآخِرَتِهِمْ بِثِقَةٍ وَإِيمَانٍ.

أهم المراجع

١. تفسير ابن كثير —لشرح معاني الآيات وربطها بالفتن.

٢. تفسير الطبري —لتوضيح سياق الفتنة والغرور في حياة الإنسان.

٣. تأثير الإدمان الرقمي على الدماغ ووظائفه .*NeuroImage* –

٤. الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي والصحة النفسية .*Stanford Law Review* –

٥. الأخلاق الرقمية من منظور إسلامي *The Muslim Vibe* –و *DeenIn.*

٦. الأخلاق الإسلامية في العصر الحديث —د. طه حسين

٧. فقه وسائل التواصل الاجتماعي: المبادئ الإسلامية في العصر الرقمي —عمر عثمان.

الفهرست

تَقديمٌ ٢
الفَصْلُ الأَوَّلُ: قواعدٌ عامّةٌ ٣
أَهَمِيَّةُ العِلْمِ فِي زَمَنِ الفِتَنِ ٤
تَحْذِيرٌ مِنْ مَحَبَّةِ الْفَاحِشَةِ وَنَشْرِهَا وَعَوَاقِبِهَا ٦
الأَثَرُ السَّلْبِيُّ لإِشَاعَةِ الفَاحِشَةِ ٧
التَّحْذِيرُ مِنْ تَتَبُّعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ٨
خُطْوَةٌ صَغِيرَةٌ نَحْوَ الشَّرِّ ٩
إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ١١
دَرْسٌ مِنْ رِحْلَةِ الْمِعْرَاجِ ١٢
يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ١٤
ذَهَبَ بَعْضُكَ ١٦
الفَرَاغُ فِي الْعَصْرِ الرَّقْمِيِّ ١٦
تَقْسِيمُ الوَقْتِ حَسَبَ العُلَمَاءِ ١٧
حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى الوَقْتِ ١٧
اسْتِثْمَارُ العُمْرِ وَالوَعْيُ بِالزَّمَنِ فِي العَصْرِ الرَّقْمِيِّ ١٨
هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حِفْظِ النَّفْسِ وَالفَضِيلَةِ ١٩
لَهْوُ ٱلْحَدِيث ٢٠
سَدُّ الذَّرائِعِ ٢٢
النَّهْيُ القُرْآنِيُّ وَالوِقَايَةُ الأَخْلَاقِيَّةُ ٢٣
إِحْسَانُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٤
تَوجِيهُ الأَبْنَاءِ فِي وَقْتِ التَّقْنِيَّةِ وَحِفْظُهُمْ مِنَ الْخَطَرِ ٢٦
كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا ٢٨
الخُطْوَةُ التَّالِيَةُ ٣٠
لَفْتَةٌ أَخِيرَةٌ ٣١
انتِزاعُ الغافِلاتِ ٣٢
مَفَاتِيحُ الشَّرِّ ٣٣
أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟ ٣٤
اللَّعْنُ وَالطَّعْنُ وَالْفَحْشُ وَالْبَذَاءَةُ ٣٦
التَّنَمُّرُ: السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ ٣٧
الفَصْلُ الثاني: التِّقْنِيَّاتِ الحَدِيثَةَ ٤٠
واقِعٌ مَفروضٌ ٤١
الهاتِفُ المَحمولُ ٤٣
تِقْنِيَّةُ الذَّكَاءِ الاِصْطِنَاعِيِّ ٤٥
النَّظَرُ الشَّرْعِيُّ ٤٥
الخُلاصَةُ ٤٦

قصَصٌ وَاقِعِيَّةٌ مِنْ عَالَمِ التَّزْيِيفِ الْعَمِيقِ.......... ٤٧
العالَمُ الموازِي ٤٩
أشكَالُ العَالَمِ المُوَازِي التِّقنِيِّ.......... ٥٠
الآثَارُ الأَخلاقِيَّةُ وَالدِّينِيَّةُ.......... ٥٢
قاعدةٌ للعلاقاتِ في الواقعِ الافتراضيِّ.......... ٥٣
أثَرُ الواقِعِ المُتَخَيَّلِ عَلَى الواقِعِ الحَقيقِيِّ.......... ٥٧
الشَّخصِيَّةُ بَينَ الوَاقِعِ الحَقِيقِيِّ وَالوَاقِعِ الافتِرَاضِيِّ ٥٩
الفَصْلُ الثَّالِثُ: مُوَاجَهَةُ الإِشَاعَاتِ وَدَلِيلُ التَّعَامُلِ مَعَهَا.......... ٦٢
الشَّائِعَاتِ ٦٣
التَّبَيُّنُ وَالتَّثَبُّتُ فِي الإِسْلَامِ.......... ٦٦
أَذَاعُوا بِهِ.......... ٧٤
أَحْكَامٌ وَآدَابٌ.......... ٧٥
الإِشَاعَاتُ قَدْ تَطْعَنُ فِي أَعْظَمِ النَّاسِ مَكَانَةً.......... ٧٦
شَائِعَاتٌ مُعَاصِرَةٌ ٧٩
مَنْهَجُ الإِسْلَامِ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّائِعَاتِ.......... ٨١
الْمَبَادِئُ الْأَرْبَعَةُ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الشَّائِعَاتِ.......... ٨٢
مُكَافَحَةُ الإِشَاعَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالْفَوَاحِشِ وَالأَعْرَاضِ ٨٣
مُكَافَحَةُ الإِشَاعَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالأَفْرَادِ.......... ٨٤
الخُطُواتُ العَمَلِيَّةُ لِلتَّعامُلِ مَعَ الإِشَاعَاتِ ٨٥
خُلاصةُ الْمَنْهَجِ الإِسْلَامِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّائِعَاتِ ٨٨
الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فِي الإِشَاعَةِ.......... ٨٩
الْعُقُوبَةُ التَّعْزِيرِيَّةُ لِناشِرِي وَمُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ ٩٠
الفَصْلُ الرَّابِعُ: بَيْنَ الْأَخْلَاقِ وَالآثَامِ.......... ٩٢
السُّلُوكُ الْأَخْلَاقِيُّ عَلَى الإِنْتَرْنِت ٩٣
الأَخْلَاقُ انْعِكَاسُ الدِّينِ فِي عَالَمِ التِّقْنِيَّةِ.......... ٩٤
البَحْرُ العَذْبُ وَالمِلْحُ فِي الفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ.......... ٩٤
تَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ لِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ عَلَى وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ.......... ٩٥
تَلْخِيصٌ لِلآثَامِ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ:.......... ٩٦
التَّوَاصُلُ المُحَرَّمُ عَلَى مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ.......... ٩٨
كَشْفُ العَوْرَاتِ فِي الفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ.......... ٩٩
خَاتِمَةٌ.......... ١٠٠
أهم المراجع ١٠١